وزارة التعليـــــم العالـــــــي والبحـــث العلمـــــي

جامعـــــــة محمـــــد خيضـــــر*بسكـــــرة*

قسم العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية – قطب شتمـــة –

شعبــــــة تاريـــــــخ

عنـــــوان المذكـــــرة :

النشـــاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائـــر (1868–1892)

"منطقـــــــة القبائـــــــل نموذجــــــــا "

مذكـــرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريــــــخ المعاصـــــر

إعداد الطالبة :

-طيار ليلى

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

-علي آجقو

السنــــــة الجامعيـــــــة: 2013/2012

الإهـــــــــــداء

إلـــــى أمي الحبيبيـــــة إلى أبـــــي العزيـــــز

إلى إخوتـــــي وأخواتـــــي كل بإسمـــه وإلى جميع العائلـــة

إلـــى كـــــل صديقاتـــــــي

إلى كـــل زميلاتـــي زملائـــي في الدفعة

إلـــى كـــل أساتـــذة شعبـــة التاريـــخ

أهدي هذا العمل المتواضع

شكـــــر وعرفـــــــان

أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الدكتور علي آجقو – حفظه الله –

الذي أمدني بنصائحه وتوجيهاته القيمة السديدة

وإلى كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد

إلى جميع أساتذة شعبة التاريخ في جامعة محمد خيضر

شكرا جزيلا وعرفانا كبيرا و إمتنانا خالصا

شكــــر وعرفـــــان

أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الدكتور علي آجقو – حفظه الله –

الذي أمدني بنصائحه وتوجيهاته القيمة السديدة

وإلى كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد

إلى جميع أساتذة شعبة التاريخ في جامعة محمد خيضر

شكرا جزيلا وعرفانا كبيرا و إمتنانا خالصا

مقدمـــــــة

مقدمـــــــــــــة

عرفت منطقة المغرب العربي عقب سقوط الأندلس هجمات صليبية عنيفة دخلت في إطار ما عرف بالحروب الصليبية ،وكانت الجزائر إحدى ضحايا هذه التحرشات والغارات الأوروبية المســيحية التــي تعاقبت عليها أملا في تحطيم أسطولها ونهب خيراتها وفتح باب لنفوذ الكنيسة المسيحية وهذا لان سقوط الجزائر في نظرهم يعني سقوط القلعة الإسلامية وبالتالي عودة المسيحية إلى سابق عهدها .

وبعد سقوط مدينة الجزائر سنة 1830 في يد الاحتلال، سارعت فرنسا إلى احتضان حركة تنصيرية محاولة منها جعل الجزائريين جزءا من الكيان الفرنسي وكذا اقتلاعها من انتماءها العربي الإسلامي .

وتنطلق الحركة التنصيرية التي تبنتها الإدارة الفرنسية من حوافز حضارية وخلفية ثقافية، فهي ترى في الفتح الإسلامي لبلاد المغرب اعتداء حضاريا تعرضت له المسيحية، وتعتبر اعتناق السكان للــدين الإسلامي بمثابة عملية معاكسة لسير التاريخ ، وتشكل تهديدا للأمن الأوروبي القائم على الثقافة الرومانية الإغريقية والعقيدة المسيحية .

لم تنج الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي من المحاولات التنصيرية ، وقد أخذت هذه المحاولات أشكالا متعددة، منها ما هي ذات صبغة عدوانية كالتنصير بقوة، ومنها ماهي ذات صبغة ســلمية كالإرســاليات التنصيرية أو افتداء الأسرى ، وكل حسب نوعية العلاقات التي كانت تربط الجزائر بالدول الأوروبية ، أما منذ الاحتلال إلى غاية 1892 فقد توافدت على الجزائر عدد كبير من الجمعيــات التنصــيرية منهــا الكاثوليكية ومنها البروتستانتية ، ويمكن تقسيم مراحل استيطانها إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : وتمتد من 1830 إلى 1845 وتزامنت مع تعيين دوبوش أسقفا للجزائر .

المرحلة الثانية : وتمتد من 1846 إلى 1866 وتوافق ولاية المطران بافي للأسقفية.

المرحلة الثالثة : تتراوح مابين سنة 1867 و 1892 وهي توافق تعيين لافيجري اســقفا للجزائــر ومندوبا رسوليا للكنيسة الإفريقية .

وتعتبر المرحلة الثالثة أهم مرحلة في تاريخ التنصير في الجزائر وهذا لان لافيجري كان من اشـد المتحمسين ، ولان التنصير في عهده بلغ ذروته حتى لقب بأبو التنصير في الجزائر وإفريقيـا وعدتـه الكتابات التاريخية التنصيرية أبرز شخصية دينية طيلة القرن التاسع عشر .

انطلاقا مما سبق إنصب اهتمامي على القيام بدراسة أعالج فيهـا النشـاط التنصـيري للكاردينـال لافيجري الذي لعب دورا كبيرا في تثبيت ركائز التنصير في الجزائر على مدى خمسة وعشرين عامـا، وقد ركزت في الدراسة على منطقة القبائل كنموذج وكيف اهتم لافيجري ببسط نفوذه عليهـا ومحاولـة سلخها عن باقي المجتمع.

وتتمثل دوافع اختياري للموضوع في :

- معرفة أسباب الموجة المسيحية القوية التي تجتاح منطقة القبائل .

- إبراز دور لافيجري في عملية تنصير منطقته وتحالفه مع الاسـتعمار ورغبتـه فـي اسـتمرار الحروب الصليبية ضد الإسلام .

- توضيح مدى اهتمام لافيجري الشديد بالمنطقة .

وعليه فإن الإشكال الرئيسي المطروح هو:

إلى أي مدى مثل الكاردينال لافيجري صورة حقيقة عن الأهداف الصليبية لتنصير منطقة القبائـل ؟ ولماذا انصب اهتمامه على هذه المنطقة أكثر منه من المناطق الأخرى ؟

وضمن هذه الإشكالية تندرج مجموعة من التساؤلات هي :

لماذا اعتبرت منطقة القبائل انسب منطقة جاهزة لمشروع لافيجري التنصيري ؟

ما هي حقيقة برنامجه الديني خططه التنصيرية ؟

إلى أي مدى يمكننا الحديث عن نجاح وإخفاق نشاطه التنصيري في المنطقة ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات إتبعت في بحثي هذا منهج الوصفي والتحليلي القائم على رصد الأحداث التاريخية ثم تحليلها تحليلا موضوعيا من اجل معرفة الأسباب واستجلاء الحقائق كما هي:

ويتكون بحثي هذا من مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وإستنتاج

الفصل التمهيدي : حول بوادر التنصير الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر وما تميز بـــه العـــدوان الفرنسي ضد الجزائر، وعن مدى تشجيع بعض المسؤولين والحكام والقادة العسكريين ورجـــال الـــدين للإرساليات التنصيرية في الجزائر .

الفصل الأول : تعرضت فيه إلى جوانب هامة عن منطقة القبائـــل كجغرافيتهـــا وتاريخهـــا وعـــن التوغـــل الفرنسي فيها ومقاومة السكان له ، كما ركزت في هذا الفصل عن المحاولات التنصيرية الأولى في المنطقة وعن خرافة القبائل المسيحية التي خلقها دعاة التنصير والتي كانت بمثابـــة تمهيـــدا لنشـــاط لافيجري التنصيري.

الفصل الثاني : خصصته لنشاط الكاردينال لافيجري في المنطقة وحاولت من خلال هـــذا الفصـــل استجلاء جوانب هامة من حياته من حيث النشأة والتكوين ونشاطه الديني ثم بينت العوامل التي رأى أنها ملائمة لتنصير المنطقة ثم أبرزت البرنامج الذي وضعه والخطط التي نفذها عبر انتهاجه لسياسة التفرقة بين الجزائريين ، والى نشاط الآباء والأخوات البيض بالمنطقة ، ووسائل التنصير المعتمدة ، كما لم أنسى التطرق إلى نتائج نشاطه التنصيري في المنطقة ،وختمت البحث بإستنتاج سجلت في آخرها النتائج التي إنتهى إليها البحث .

أما عن المراجع التي اعتمدت عليها في دراسة هذا الموضوع فأبرزها:

الدراسات الخاصة بالتنصير وهي:

- " الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830–1871) " لخديجة بقطاش
- " التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 "، لوعلي محمد الطاهر .

هذان المرجعان كانا بالنسبة لي أرضية خصبة في تكملة المجهود العلمي وإيصاله إلى منتهاه .

أما بخصوص الدراسات التي أفادتني عن منطقة القبائل فهي:

-" لمحة عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحداد وثورة 1871" لبطاش علي.

- " إطلالة على منطقة القبائل" لفراد محمد ارزقي .

- " الثورة في الولاية الثالثة 1954–1962" لبوعزيز يحي .

إضافة إلى ذلك استعملت بعض الجرائد والمجلات التي تتناول التنصير في المنطقة، كذلك الملتقيات، أما عن الرسائل الجامعية فقد أفادتني دراسة ليسلي مقران تحت عنوان " الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920–1945"، وأخرى باللغة الفرنسية لصحاري سامية تحت عنوان:

Etude des pratiques et des conduits religieuses chez les convertis au christianume en kabylie .

ولا يفوتني أن أشير إلى الصعوبات التي اعترضني أثناء انجاز هذا البحث والتي تتمثل في مجملها في : صعوبة العثور على المصادر ووثائق متعلقة بالنشاط التنصيري للكاردينال لافيجري .

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور علي آجقو تقديرا لمتابعته وتوجيهاته ، هذا ولا أزعم لنفسي أنني استوفيت الموضوع من جميع جوانبه إنما حسبي أنني بذلت جهدا متواضعا وعانيت التجربة ومارستها بكل مشكلاتها .

الفصل التمهيدي : بوادر التنصير الأولى للإحتلال الفرنسي

أولا: الطّابع الدّيني الصّليبي للغزو الاستعماريّ الفرنسيّ للجزائر

ثانيـــا: معاهدة 5 جويلية 1830 وبداية التعــديات الفرنســية علـــى المؤسسات الدينية

الفصل التمهيدي: بوادر التنصير الأولى للاحتلال الفرنسي

أولا:الطابع الديني الصليبي للغزو الإستعماري الفرنسي للجزائر:

كان للجانب الديني أثر كبير في احتلال الجزائر، فمن الأسباب الهامة التي دعت فرنسا إلى الغزو هو عودة الكنيسة إلى نشاطها ومحاولة إعادة الاعتبار إلى المسيحية وإنقاذ المسيحيين من أيدي القراصنة الجزائريين –حسب تعبيرها–، ففرنسا التي كانت تعتبر نفسها حامية الكنيسة الكاثوليكية[1]، ومن ثمة رأت بأن الأسطول الجزائري القوي يشكل خطرا في نظر الدول المسيحية وأنه لابد من أن تتعاون فيما بينها لضرب المسلمين في الجزائر[2]، وقد عبر كليمون تونير وزير الحربية في تقرير قدمه للملك شارل العاشر[*1]. يوم 14 أكتوبر 1827 عن آماله في تنصير الجزائر قائلا: "يمكن لنا في المستقبل أن نكون سعداء ونحن نمدن الأهالي ونجعلهم مسيحيين". وأكد الملك شارل العاشر ذلك حينما خاطب كل أساقفة المملكة قائلا لهم "إن مرادنا أن تقيموا صلوات في جميع الكنائس وتطلبوا من الله أن يحمي الراية ويعطينا النصر". والجانب الحكومي سر لما سوف يحققه جيش الملك من انتصار لأنه انتصار في سبيل البعث الديني المسيحي في إفريقيا. [3]

وقد أراد شارل العاشر أن يربط سبب حملة الجزائر بحادث بعيد تمثل في الحروب الصليبية التي قام بإحداها لويس التاسع[*2] دفين مدينة قرطاج بتونس ولكي يحقق رغبته هذه أتفق مع باي تونس على بناء كنيسة تقام على ضريح الملك لويس التاسع تخليدا لهذا الملك وأعماله وقد أراد شارل العاشر بهذا العمل أن يبرهن للشعب الفرنسي على مدى اهتمامه بالبعث المسيحي والحضاري بإفريقيا وبقرار سري تمت المعاهدة بين باي تونس وفرنسا يوم 8 أوت 1830، واعتبرت هذه المعاهدة عهد جديد في بعث الكنيسة الإفريقية[4].

([1]) بقطاش خديجة، الحركة التشيرية في الجزائر 1830–1871، دار حلب، الجزائر، 2009، ص15.

([2]) الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص351.

*1 شارل العاشر هو آخر ملوك سلالة آل بوربون، نظامه سيء رجعي توفي سنة 1836 بعد فراره إثر ثورة جويلية عام 1830 وخلفه في الحكم لويس فليب ترك آثار كثيرة في الجزائر منها سيفه الشخصي والمتواجد حاليا بمدينة سطيف، وهو ملك لأحد المواطنين

(3) بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب افسلامي، الجزائر، 1997، ص86.

*2 لويس التاسع 1214–1270 هو ابن لويس الثامن وقائد الحملة الصليبية السابعة على مصر عام 1248 والثامنة على تونس عام 1270.

([4]) بقطاش خديجة، مرجع سابق، ص16.

وفي02مارس لما كان الفرنسيون يستعدون لاحتلال الجزائر قال الملك شارل العاشر في خطـــاب العرش: "إن العمل الذي سأقوم به (احتلال الجزائر) ترضية للشرف الفرنسي سيكون بإعانة العلي القدير لفائدة المسيحية كلها"، كما صرحت فرنسا غداة احتلالها لعاصمة البلاد عام 1830 بأن جملة من أهدافها من وراء عملية الغزو هو العمل على نشر المسيحية فيها والقضاء على الإسلام(1). وهو ما أكده كاتـــب الحاكم العام للجزائر عام 1832 بقوله: "إن آخر أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكـــون للجزائر إله غير المسيح ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكننا علـــى أي حال أن نشك بأنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد...(2).

ويذهب الجنرال بيجو*1 إلى أن الحقيقة التي جاء من أجلها الاحـــتلال الفرنســـي بقولـــه: "إن أرض الجزائر أرض خصبة لزرع المسيحية... أما العرب فلن يكونوا ملكا فرنسا إلا إذا أصـــبحوا مســـيحيين جميعا"(3).

أما وزير الحربية كليرمون تونير فقد دعا وأيد فكرة الاحتلال ويرد موقفها إلى قوله: "الثأر مـــن أعداء المسيحية وفتح أبواب لها على شوطئ إفريقيا خدمة لأوربا والإنسانية معا، وهذا هو عين التعصب الديني والعرقي الأعمى الذي كان يتخبط فيه ساسة فرنسا(4).

ثم إن رجال الدين المسيحي لعبوا دورا كبيرا في الحملة حيث تشير بعض التقـــارير أن الحملـــة الفرنسية التي اتجهت نحو الجزائر كانت مجهزة بحوالي ستة عشر قسيسا وذلك لمباركة عملية الغزو وتذكير الجنود بدورهم في نشر المسيحية باعتبارهم شهداء المسيحية في الجزائر(5).

---

(1) الشهبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والغرابة والاحتلال الفرنسي، دار الغرب، الجزائر، 2007، ص41.

(2) تركي رابح ، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981، ص109.

*1 الجنرال بيجو هو توماس روبير بيجو دولابيكونير تولى الحكم في الجزائر عام 1840 إلى 1847 سلك خلال ســـنوات حكمه سياسة القهر والعنف والإبادة والتدمير والتهجير.

(3) جباري مسعود، الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس، ماجستير في العلوم الإســـلامية وأصـــول الـــدين، الجزائر، 2002، ص14.

(4) بوعزيز يحى، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص126.

(5) جباري مسعود، الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس، ماجستير في العلوم الإســـلامية وأصـــول الـــدين، الجزائر، 2002، ص14.

*1دوبرمون 1775–1836 كان جنرالا في جيش بونابرت عينه شارل العاشر وزيرا للحربية، قاد الحملة الفرنسية علـــى الجزائر وخلفه كلوزيل بعد ذلك.

وقد صرح القائد دوربرمون*[1] بذلك قائلا: "إنكم أعددتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا ولنأمل أن تتبع قريبا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع[1]. وبذلك بدأت الانطلاقة الحقيقية للسياسة الاستعمارية التنصيرية والتي احتضنتها فرنسا وتعاونت تعاون كبيرا مع الهيئات التنصيرية المسيحية من مختلف أنحاء العالم من أجل تحطيم مقومات الشخصية وقد أيدتهم بالمال كي يتمكنوا من الترويج للنصرانية في الجزائر والقضاء على الإسلام[2].

([1]) محمد ابن اسماعيلي، مشيخ خالدون وعلماء عاملون، ط1، 2001، ص21.

([2]) خليل كمال، المدارس الشرعية الثلاث (التأسيس والتطور 1850–1851) ،ماجستير في التاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2008، ص41.

ثانيا: معاهدة 5 جويلية 1830 وبداية التعديات الفرنسية على المؤسسات الدينية:

فور سقوط الجزائر في يد الاستعمار الفرنسي طبع الجنرال دوبرمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر منشورا باللغة العربية والذي يتعهد فيه بضمان وحماية الممتلكات الجزائرية من أوقاف ومساجد وتقاليد وحرمات وهذا ما ورد في البند الخامس من معاهدة تسليم الجزائر(1). غير أن هذا التصريح لا يخدم رجال الدين المسيحيين ولا الهدف الذي جاءت من أجله الحملة وتعجبوا من دوبرمون الذي أعطى صفة القداسة للديانة الإسلامية في الوقت الذي يجتمع فيه أساقفة رغبة في إحياء حرب صليبية ضد الجزائر، وقد لمس الملك شارل العاشر من هذا التصريح عدم تناسبه مع مطامحه الدينية وبذلك قرر مكاتبة وزيره بولينياك[*1] يوم 8 جوان 1830 مبديا له عدم رغبته في وصف الديانة الإسلامية بالقداسة(2). وسرعان ما تنكرت السلطات الفرنسية لما جاء في المعاهدة فوجهوا كل حقدهم إلى الحرمات والمقدسات وخاصة المساجد وكل رموز العقيدة الإسلامية، وما يؤكد على الشروع في العمل الهمجي هو قال الدوق دومال[*2] للحاكم العام "قد سقطت الجزائر بين أيدينا واستولينا على المعاهد العلمية والدينية وحولناها إلى ثكنات ومستشفيات ودكاكين ومدارس لتعليم لغتنا الفرنسية بدل اللغة العربية، كما اعترف الفرنسيون بما قام به الجيش الفرنسي حينما دخل الجزائر حيث يقول الجنرال لاموريسيير[*3]:"حللنا بمدينة الجزائر فاتخذنا من المدارس مخازن وثكنات واصطبلات واستحوذنا على أملاك المساجد والمدارس وكنا نعتقد أننا سنعلم الشعب العربي مبادئ الثورة الفرنسية ولكن مع الأسف أن المسلمين رأوا في ذلك ضربة للدين والعقيدة"(3).

وقد أشارت المذكرات التي وضعها الخبراء الذين رافقوا الحملة أن العاصمة الجزائرية كانت تتوفر سنة 1830 على:

- 13 مسجدا كبيرا.
- 109 مسجد متوسط الحجم
- 32 مصلى في أحياء العاصمة.

---

(1) خليل كمال، المرجع نفسه ، ص32.

*1 بولنياك هو رئيس وزراء فرنسا

(2) بقطاش خديجة، مرجع سابق ، ص16.

*2 الدوق دومال عين حاكما عاما بعد الجنرال بيجو، أقام 10سنوات بالجزائر.

*3 لاموريسيير قائد فرنسي برز في حروب الجزائر وقاد الحملة التي أرغمت عبد القادر على الاستسلام عام 1847.

(3) محمد ابن اسماعيلي، المرجع نفسه ، ص23.

- 12 زاوية[1].

أما في قسنطينة وحدها فكان يوجد 80 مدرسة و 6 معاهد و300 زاوية ولم يبق منها بعد الاحتلال مباشرة إلا ثلاثون مدرسة فقط، أما في عنابة فكان يوجد 39 مدرسة و75 مسجدا قبل الغزو الفرنسي ولم يبق منها سوى 3مدارس و15 مسجدا ونفس الشيء في مدينة مليانة التي استولى عليها الفرنسيون، ولـم يبق من 25 مسجدا إلا مسجدا واحدا[2].

فالاستعمار الفرنسي استطاع تحويل 118 مسجدا مخصصا للعبادة والتدريس في إلى ما يخدم مصالح الحركة التنصيرية، ووصلت أفعالهم إلى درجة تخريب المقبرة الإسلامية بدعوى من قائد الجيش الفرنسي دروفيقو سنة 1832.[3] وحتى الصوم والحج لم يسلما من السيطرة الفرنسية، حيـث أصـبحت الإدارة الاستعمارية تعبث بالصوم لدرجة تكوين لجنة تقوم على معاينة هلال رمضان، أما الحـج فقـد قامـت بإخضاعه لرخصة مسبقة، ولم يقف موقف الفرنسيين من الدين الإسلامي عند هذا الحد بل تجاوزه إلـى ابعد من ذلك، فبعد شهر من الاحتلال قامت ثورة بفرنسا أطاحت بعرش الملك شارل العاشر وتسببت في تغيير الجنرال دوبرمون واستبداله بالجنرال كلوزيل والذي عرفت المؤسسات الدينية أثناء ولايتـه عـدة تغييرات من بينها قرار 07 ديسمبر 1830 الذي أصبحت بموجبه كل الأوقاف ملكا للسلطة الاستعمارية وقد اعتبر هذا القرار من البوادر الأولى للتنصير الفرنسي في الجزائر والتدخل فـي الشـؤون الدينيـة للسكان، كما يعتبر من الخطوات الأولى لمحو التراث العربي الإسلامي بالجزائر وهتك ما هو مقـدس، فالسلطة الفرنسية تصرفت في الأوقاف تصرفا يتنافي مع ما جاءت به معاهدة 05 جويلية 1830خاصـة ماتعلق باحترام الديانة الإسلامية، فقد حولت الكثير منها إلى كنائس وإلى مراكز طبية وإدارية وثكنـات عسكرية وحمامات أو سلمت لبعض الأوربيين ترغيبا لهم في البقاء ومنها ما اسـتأجر لكبـار التجـار لتخرين بضائعهم ومنها ما بيع و منهاما تعرض للهدم من أجل توسيع الطرقات وتكوين الساحات العامة، حتى يذكر أنه فيما بين 1830-1832 تم وضع اليد على خمس وخمسين ملكية تابعـة لأوقـاف مكـة والمدينة وعلى إحدى عشرة ملكية تابعة للمسجد الكبير، وقد لقي

[1]) محمد العربي ولد الخليفة، المحنة الكبرى، مدخل لدراسة توضيحية عن معاناة شعبنا ومقاومته البطولية، دار الأمـل، الجزائر، 2009، ص97.

[2]) محمد ابن اسماعيلي، المرجع نفسه، ص23.

[3]) سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية 1860-1900، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2011،ص48

هذا العمل معارضة شديدة من السكان، ويروي حمدان خوجة[*1] بأنه حين احتج لدى القائد كلوزيل[*2] ضد خرق فرنسا لاتفاق المشترك فأجابه كلوزيل بأن فرنسا غير مجبرة على احترام الاتفاق لأنه لم يكن في نظرها سوى لعبة حرب.

وهكذا إستمرت عملية الهدم والاستيلاء على المساجد وبرزت النوايا التنصيرية لدى السلطة الاستعمارية في تنصير الجزائر[(1)].

*1 حمدان خوجة 1773–1841 مثقف وكاتب جزائري دافع عن قضية الجزائر بالاتصال بالشخصيات الرسمية، كتب كتاب تنوير الرأي العام حول حقيقة ما يجدي في الجزائر عنوانه المرآة، توفي سنة 1841.

*2 كلوزيل عينته حكومة فرنسا حاكما عاما بعد ديبورمون رقي إلى رتبة مارشال في 27 جويلية 1831 وهو صاحب سجل حافل بالجرائم البشعة في حق الشعب الجزائري، أعيد تعيينه ما بين 1835–1837 حاكما عاما على الجزائر، توفي في 21 أفريل 1842.

([1]) بقطاش خديجة، المرجع نفسه، ص ص 23.22.

الفصل الأول : نظرة عامة حول تاريخ منطقة القبائل

أولا : الخلفية الجغرافية والتاريخية عن منطقة القبائل

ثانيا : الحياة الدينية والثقافية في منطقة القبائل

ثالثا : التوغل الفرنسي و مقاومة سكان المنطقة

رابعا : المحاولات التنصيرية الأولى في المنطقة

الفصل الأول : نظرة عامة حول تاريخ منطقة القبائل

أولا: الخلفية الجغرافية والتاريخية عن منطقة القبائل :

هي منطقة جبليّة في شمال شرق الجزائر، تمتد من واد يسر غرب (ولاية بومرداس) إلـــى جبـــال البابور شرق (ولاية سطيف) ومن البحر شمالا إلى ولايتي البرج والبويرة جنوبا، وتشكل حاليا إجماليـــة أراضي ولايتي بجاية وتيزي وزو وأجزاء من أراضي ولايات سطيف بـــرج بـــو عريـــريج البـــويرة وبومرداس. (1)

تمثل المنطقة شكل إيجاصة مقلوبة قاعدتها العريضة إلى الشمال على ساحل البحر وقمتها الحادة إلى الجنوب عند مدينة بوسعادة، ويحدها من الشمال البحر المتوسط من سوق الإثنين شرق أوقاس وبجاية إلى زموري حاليا شرق عين الطاية، هذا بالنسبة للموقع، أما عن التضاريس والمناخ فإن منطقة القبائل تتألف من تضاريس متنوعة جبلية ومنبسطة، فهناك جبال البيبان وجبال البابور، وجبال جرجرة في الشـــمال، وهناك حوض وادي الصومام الطويل بين جبال البيبان وجرجرة وهناك السهول والهضاب العليـــا فـــي الجنوب فجبال البيبان تمتد ما بين مدينة سور الغزلان غربا وسطيف شرقا وبـــرج بـــوعريريج جنوبـــا وخراطة وقرقور شمالا، ويفصلها واد الصومام عن جبال جرجرة فـــي الغـــرب، وتشـــتهر بمضـــايقها وخوانقها العميقة والضيقة وبحدة قممها وشدة إنحدارها (2)

ويكسوها غطاء نباتي وشجري متنوع ودائم الخضرة متوسط الكثافة من أنواعه الحلفاء والصنوبر، البلوط، العرعار،السنديان، الصفصاف، الضرو، الدفلة، الزيتون والتـــين وتتخللهـــا بعـــض الأحـــواض والسهول التي يمارس فيها السكان العمل الفلاحي الزراعي، ويربون الحيوانـــات كالأبقـــار الأغنـــام ، الحمير، الماعز، الخيول ويصنعون الأدوات التقليدية من نبات الحلفاء والأخشاب والطين، وتنالها نسبة لا بأس بها من الرطوبة في فصل الشتاء البارد ويشتد فيها الجفاف صيفا ، وتنتشر القرى العمرانيـــة فـــي أحواضها وسفوحها وقممها ،وتمثل هذه الجبال صلة وصل بين الشرق القسنطيني والجزائـــر العاصـــمة والمعبر الأساسي رغم تعقد تضاريسها وصعوبتها وكثرة خوانقها وعمقها وصعوبة المواصلات فيها ، أما

(1) فراد محمد أرزقي، إطلالة على منطقة القبائل، دار الأمل، الجزائر، 2006،ص11.

(2) بوعزيز يحيى، الثورة في الولاية الثالثة 1954،1962، ط2،دار الأمة، الجزائر، 2010،ص15.

جبال جرجرة فتحتل رقعة إستراتيجية مهمة وواسعة ، وتمتد من وادي يسر غربا على مشارف سـهول متيجة الشرقية إلى وادي الصومام شرقا ، وهي جبال شديدة الانحدار حادة

القمم ، كثيرة الخوانق تزحف بسفوحها إلى شاطئ البحر شمالا أي سهل أو منبسط ، كثيفة الغطـاء النباتي والشجري ، دائمة الخضرة متنوعة الأشجار ، متوسطة العلو ، غليظة الجذور ، تنالها نسبة كبيرة من الرطوبة لإشرافها على البحر المتوسط ، وتغطي الثلوج قممها في فصل الشتاء ، وتكثر بها الينـابيع والجداول المائية العذبة والمتدفقة وحقول الخضراوات في أحواض الأودية ، وسفوح الجبال وتزدهر بها أشجار التين والزيتون ، والرمان ، والإيجاص ، والخوخ ، عين البقرة.... وغيرها. [1]

أما عن السكان ، فالكثافة السكانية عالية جدا في هذه الجبال وقراها كثيرة ومتقاربة مـن بعضـها ، ويعرف سكان المنطقة تاريخيا بإسم الزواوة ، وهم ينتمون إلى العنصر الأمازيغي ، الذي اختلف العديـد من المؤرخين في أصله [2]

وهم حسب رواية ابن خلدون بطن من بطون البتر وأنهم قدموا من آسيا منذ أزمنة بعيدة وأنهم ليسوا من ولد إبراهيم ولا من أبناء جالوت العماليق ولا من حمير ، وفند في مقدمته دعوى قدوم الملك إفريقش وإطلاقه اسم البربر على سكان البلاد ثم يقول أن هؤلاء جدهم الأكبر يدعى مازيغ ولهذا يسمون أنفسهم أمازيغ. [3]

وقد امتازوا منذ القدم بإستماتتهم في سبيل الحرية ، وحبهم للاستقلال ، فكانوا لايرضخون للغالـب ولا يجنحون إلى الإستكانة ، ولهم ولع شديد في الإحتفاظ بعوائدهم وأخلاقهم ولغتهم ومع أنهم عاشوا نحو ثلاثة آلاف سنة تحت احتلال الأمم المختلفة غير أنهم لا يزالون محافظين على مميزاتهم الذاتية وأحكامهم الخاصة. [4]

---

(1) Charles Minot‹revue archéologique‹ Paris‹1828‹ p57

(2)فراد محمد أرزقي ، المرجع نفسه ، ص12.

(3)المدني أحمد توفيق ، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ، ص ص18.17

(4) أكيلال محمد احسن ، التنصير في منطقة القبائل ، البصائر ، ع 360 ، ديسمبر 2013.

بالنسبة لتاريخ منطقة القبائل ، فقد كانت هذه الناحية تابعة في العهد الرومـــاني لنوميــديا ، وكـــان حاكمها ماسينيسا يتمتع بالإستقلال الداخلي ، وبعد ثورة يوغرطة حول حكمها إلى موريتانيا السيزارية أي شرشال بدلا من نوميديا وصارت تحت حكم روما المباشر بدلا من الإستقلال الداخلي ، أما فـــي العهــد الإسلامي فإن بلاد القبائل كانت قطعة من قبيلة كتامة الممتدة من دلس إلى القالة ، وبعد تــداول الــدول الفاطمية ثم بني زيري وإنتقال الحماديين من القلعة إلى بجاية بقيت بلاد القبائل تابعة لحكم بجاية في عهد الحماديين ثم في عهد الموحدين فالحفصيين ،وفي أواخر العهد الحفصي احتل الإسبان بجاية وذلك ســنة 917 هــ الموافق لــ 1510 م فعندئذ تكونت في بلاد القبائل أو إمارتان هما القبائل الصــغرى وكـــان يتداول حكمها آل المقراني ، وكانت قاعدتها بني عباس ثم مجانة ، أما الإمارة الثانية هي إمارة آل ابن القاضي ، وكانت تضم بلاد القبائل الكبرى وقاعدة حكمها جبل كوكو ، ومؤسس هذه الدولة هــو الشــيخ أحمد القاضي الزواوي قاضي بجاية في عهد الحفصيين هذا الذي لعب دورا هاما ، حيث كان بين الذين دعوا الإخوة عروج وخير الدين للتدخل ضد الإسبان في بجاية . [1]

وكان سكان المنطقة بإتفاق معظم المؤرخين يثورون المرة بعد الأخرى على الحكام كيفمـــا كانـــت أجناسهم وديانتهم ونظام حكمهم ، وكانت المنطقة قبيل الإحتلال الفرنسي

تعرف بهذا التقسيم :

– القبائل الكبرى –تيزي وزو .

– القبائل الصغرى –بجاية .

– قبائل الحدرة وتمتد إلى المليلية وجيجل وبعض أهلها ينتمون كبقية القبيلتين إلى العنصر البربري ، إلا أنهم تعريف بخلاف القبائل الكبرى والصغرى فقد احتفظت بلغتهم الأصلية. [2]

(1) بوعزيزيحي ،مرجع سابق ،ص216

(2)البوعبدلي المهدي ، نبذة تاريخية عن ولاية تيزي وزو ، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي ، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ،مج 5، تيزي وزو ، 1993 م – 1973 م ص ص 2256 . 2257

ثانيا الحياة الدينية والثقافية في منطقة القبائل:

كانت منطقة القبائل مركز إشعاع للعلم والمعرفة ومنبعا ثريا للعلوم الإسلامية، ويرجع إزدهارها إلى العلماء الأوائل أمثال الشيخ عبد الرحمان اليلولي وسيدي منصور وغيرهم ممن أدى خدمات جليلة للعلم و المعرفة وقد إهتم سكان المنطقة وبناء المساجد والأضرحة والزوايا والكتاتيب، كما اهتموا بدراسة التاريخ الإسلامي وركزوا في تعليمهم على القرآن الكريم حفظا وتفسيرا. (1)

وقد نبغ فيها أعلام كثيرون في مختلف العلوم وخاصة العلوم الإسلامية كالفقه والتصوف، وكانت مراكز التعليم بها هي المساجد والزوايا التي كانت تؤدي دورا تعليميا من جهة ودورا دينيا من جهة أخرى، وكانت مدينة بجاية قديما هي مصدر النهضة العلمية بدون منازع، وكانت همزة وصل بين الأندلس والشرق الإسلامي وكانوا الأندلسيون يقصدون المرور بها للأخذ من علمائها عند سفرهم إلى المشرق العربي. (2)

كما يعود الفضل في إزدهار العلوم الدينية والثقافية في منطقة القبائل إلى الدور الرائد الذي لعبته بجاية منذ تأسيسها سنة 1067م على يد السلطان الحمادي الناصر بن علناس الذي جلب إليها العلماء والشعراء فلعبت دور جامع الزيتونة في تونس وجامع القرويين في المغرب الأقصى، وتخرج منها العديد من العلماء الذين انتشروا في أعماق المنطقة حيث أسسوا المدارس والزوايا والكتاتيب خاصة في آث وارثيلان، وآث عباس، وثا مقره، ووادي الصومام، وآث منقلات، وآث غبري، وايلولن، وأرجوته، وجرجرة، ومشدالة. (3) ومن علماء هذه المنطقة هم:

- أبومدين شعيب (سيدي بومدين) 1126 م – 1197 م
- يحي بن معطي النحوي 1169 م – 1231 م
- أبو زكرياء يحي بن أبي علي الزواوي توفي عام 1215 م
- منصور بن أحمد بن عبد الحق ناصر الدين المشدالي 1235 م – 1335 م
- أبو العباس أحمد الغربيني 1246 م – 1314 م
- يعقوب ابن يوسف المنقلاتي توفي عام 1291 م
- عيسى بن مسعود بن منصور بن يحيى المنقلاتي ولد سنة 1266 م
- إبراهيم ابن القائد الزواوي ولد عام 1343

(1) باعزيز عمر، الزوايا في الزواوة، مجلة الشهاب، ج1، ع9،1933، ص 17.
(2) الإبراهيمي أحمد طالب،من تصفية الإستعمار إلى الثورة الثقافية، ترجمة حنفي ابن عيسى، الجزائر، 1972، ص7.
(3) فراد محمد أرزقي، المرجع نفسه، ص13

– الشيخ ابو زيد عبد الرحمان الوغليسي توفي عام 1384 م
– ابن خلدون 1332 م – 1406 م
– عبد الرحمان الثعالبي 1384 م – 1470 م [1]

ولعل ما تفخر به هذه المنطقة وخاصة مدينة بجاية ،هو أنها كانت إحدى الجامعتين الإسلاميتين اللتين زودتا أوروبا بمادة الحساب والأرقام، ففي هذه المدينة تربى الرياضي الإيطالي الكبير اليوناردبيز الذي تعلم على يد أساتذه البجائي سيدي عمر مختلف العلوم والمعارف خاصة مادة الحساب التي أولع بها فيما بعد [2]

وقد اعترف الأجانب بتفوق بجاية على بلدانهم، وذلك لأنها قديما كانت أسعد حظا وأقوى على مواجهة أخطار الزمان، فقاومت ظروف الدهر وأحواله وبالتالي فرضت وجودها في التاريخ، وقد سجل لنا العالم الجليل الغبريني أخبار وتاريخ علمائها ومفكريها في كتاب عنوانه :"الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"و يعتبر هذا الكتاب من المصادر التاريخية الهامة للمنطقة [3]

ومن أعلام المنطقة المعروفين بعلمهم في العصر الحديث هو الشيخ محمد بن أبي القاسم البوجليلي صاحب الزاوية المعروفة بناحية بو جليل الذي انتصب للتدريس في زاويته خلال القرن التاسع عشر، وبذالك كانت قرية بو جليل منارة للإشعاع الروحي والثقافي، هذا بالنسبة للقدامى، أما في القرن العشرين فنجد من مشايخ المنطقة الشيخ السعيد بن أحمد الزكري الذي تولى الإمامة بجامع سيدي رمضان بالعاصمة، ومن مؤلفاته: " أوضح الدلائل في وجوب إصلاح الزوايا في بلاد القبائل " الذي ألفه سنة 1903 م، وكذالك الشيخ مولود الحافظي، والشيخ أبو يعلي الزواوي والشيخ الرزقي الشرفاوي، والشيخ السعيد البهلولي الذي انتصب للتدريس في بزاوية سيدي موسى في القبائل الصغرى. [4]

فمنطقة القبائل كانت تزخر بنشاط ثقافي وبحركة علمية ضمت في كنفها طائفة من رجال الفكر والأدب والثقافة، وغدت بذالك مركزا هامة للثقافة والعلوم إستقطبت عددا لا يحصى من رجال الفن والأدب وهو ما كان له تأثير بالغ في تأسيس الكثير من الزوايا في هذه المنطقة، فالزوايا بالنسبة لسكان

---

(1)بطاش علي، لمحة عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحداد وثورة 1871، دار الأمل الجزائر، 2007، ص 28.
(2)بوعزيز يحيى، ملامح عن قلعة بني حماد والدولة الحمادية وبجاية، مجلة الأصالة، ع 36، 1977، ص 17.
(3)فراد محمد أرزقي، مرجع سابق، ص 14.
(4)بطاش علي، مرجع سابق، ص 28

المنطقة لها أهمية كبيرة، لأن أهم ما تتميز به هو أنها ليست كسائر الأبنية والأمكنة بل هـي مـدارس ابتدائية ومعاهد علمية أسست لقراءة القرآن الكريم وما إلى ذالك من العلوم الأخرى. (1)

ومن زوايا منطقة القبائل هي :

– زاوية الشيخ عبد الرحمان اليلولي.

– الزاوية السحنونية بالأربعاء ناث إراتن.

– زاوية سيدي علي بن يحيى بذراع ميزان. (2)

ومن أهداف هذه الزوايا أنها تربي الشباب تربية إسلامية علمية قوية وتغرس فيهم أخلاق الإسـلام وحب العمل والتضحية، وقد انتشر هذا النوع من الزوايا في وادي بجاية بعد احتلال إسبانيا لها، ومغادرة سكانها خصوصا الجالية الأندلسية التي كانت لاجئة فيها، وكان الكثيرون من أفرادها قد أسسو زوايا في بني يعلي وبني غليس وأسماؤهم لاتزال محفوظة في تاريخ علماء بجاية في ذلك العصر. (3)

ولزوايا منطقة القبائل أحباس وقوانين داخلية وهي تمتاز عن نظم الزوايا الأخرى، فالزاويـة فـي الغالب تخضع لتصرف شيخ الطريقة أو مقدمها، فالزاوية بالنسبة لسكان المنطقة لها أهمية كبيرة، ولعل هذا يعود بالدرجة الأولى إلى دورها الديني والثقافي وحتى السياسي. (4)

(1)باعزيز عمر، مرجع سابق، ص 17

(2)يسلي مقران، المرجع نفسه ، ص 100

(3)البوعبدلي المهدي ، الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، الأصالة، ع 13،الجزائر، 1973، ص 26.

(4)يسلي مقران، مرجع سابق، ص 105.

ثالثا: التوغل الفرنسي ومقاومة سكان المنطقة.

وضعت القوات الفرنسية يدها على أطراف هذه المنطقة الجبلية منذ السنوات الأولى للاحتلال، إلا أن دخولها إلى قلب المنطقة تأخر بحوالي سبع وعشرين سنة أي إلى سنة1857، ومما ساعد على هذا التأخر هو أن فرنسا كانت مشغولة بحروب أخرى في شرق البلاد وغربها هذا على المستوى الداخلي، أما على المستوى الخارجي فإن معظم جيشها كان يخوض حروب شبه جزيرة القرم*1 في البحر الأسود في آسيا (1) كما أن الحكومة الفرنسية بقيت مترددة بشأن غزو بلاد القبائل إلى غاية العقد الخامس من القرن الماضي، ففي عام 1844 إشتد النقاش حولها في الصحافة والمنابر، وقد رأى بعضهم أن وجود شبه دولة مستقلة على مقربة من العاصمة الجزائر يشكل خطرا على فرنسا خصوصا أن هذه الدولة تحتقر سلطتها وتأوي المجرمين والفاسدين والداعين إلى الجهاد، وكل هذا يعتبر إهانة للشرف الفرنسي وفي سنة 1844 حاول الماريشال بيجو احتلال بلاد القبائل انطلاقا من قبيلتي بني عباس بوادي بجاية وسور الغزلان فلم توافقه حكومته لكن بعد الحصول على الموافقة تطلب غزو البلاد والتوغل فيها ثمانية سنوات أي من السنة 1849إلى 1859، ولعلى ذلك راجع إلى المقاومة التي لقيتها فرنسا من سكان المنطقة.(2)

والتوسع الفرنسي في بلاد القبائل مر بمراحل عديدة كان آخرها عام 1857، فالبداية كانت كعملية جس نبض فقط، لانشغالها بحروب أخرى، ولكن مع ذلك عملت منذ وقت مبكر على فتح بعض المراكز وإنشاء القواعد العسكرية في المنطقة نظرا لما تمثله من أهمية إستراتيجية واقتصادية، ومن هذه القواعد انطلق الاستعمار الفرنسي.

ليتم احتلال المناطق الجبلية إلا أنه واجه صعوبات وذلك بسبب عاملين أساسيين هما:

– تمسك السكان بقراهم واستبسالهم في الدفاع عنها ويشهد الماريشال راندون على ذلك بقوله "عملنا الكثير لكي نتغلب على مقاومة الأهالي إلا أننا كنا بعيدين عن تحقيق خضوعهم بالكامل"

---

*1جزيرة القرم و تقع ضمن جمهورية أوكرانيا في الجنوب، يحيط بها البحر الأسود من الجنوب والغرب، مساحتها2700كلم وسكانها 5،2 مليون نسمة

(1) البوعبدلي المهدي ، مرجع سابق، ص2262

(2) البوعبدلي المهدي، ثورة الشريف بوبغلة، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 1985، ص5

– صعوبة التغلل في هذه المنطقة الجبلية ذات المسالك الصعبة والتي لا يعرفها إلا أصحابها[1]

كانت بدايات التوغل الأولى في بلاد القبائل تتمثل في احتلال بجاية منذ عام1833، حيث تحركت حملة عسكرية من ميناء تولون بفرنسا بقيادة الجنرال تريزال*1 يوم 22 سبتمبر 1833 ووصلت يوم 29 من نفس الشهر وبعد مقاومة أهلها استطاعت سنة 1835 احتلالها وعقد معاهدة صلح مع أحد شيوخ المنطقة، وهذا من الجهة الشرقية لبلاد القبائل، أما من الجهة الغربية للبلاد ففي ليلة 18 ماي 1837 اجتازت فرقة عسكرية فرنسية بقيادة العقيد شونبورغ مضيق باب عائشة البوابة المفتوحة على بلاد القبائل، أما من الجهة الجنوبية للبلاد فلم يكن الاحتلال مباشر كما كان في الشرق والغرب إذ نجد أنه وفقا لاتفاقية التافنة*2 بين الأمير عبد القادر*3 والسلطات الفرنسية دخلت بلاد جرجرة تحت حكم الأمير عبد القادر، وكانت فرنسا ترى أنه من المهم أن تحصل على طريق يصل بين الجزائر وقسنطينة، والأمير لم يكن مستعدا ليتنازل عن شبر واحد، حيث عمل على نشر سلطته على بلاد جرجرة وحوض وادي الساحل والبيبان فإتجه في شهر ماي 1839 إلى زاوية أمحمد بن عبد الرحمان قرب ذراع الميزان وهناك استقبله عدد من الشخصيات وفرح بقدومه سكان عمراوة وتيزي وزو ودلس ومن هناك تقدم إلى بجاية وقد تخوف الفرنسيون من نشاطه فقرروا مواجهته وأقدموا على اجتياز بلاد القبائل التي تقع على الطريق الرابط بين قسنطينة والجزائر[2].

وفي 22 فيفري 1841 تولى الجنرال بيجو منصب الحاكم العام على الجزائر وقرر غزو هذه المنطقة إبتداءا من عام 1842 لإخضاعها للسلطة الفرنسية وقد توغلت جيوشه على تادمايت (تيزي وزو) ودلس سنة 1847 واتخذت من هذه المناطق مركزا للقوات العسكرية، وفي عام 1847 كانت السيطرة الفرنسية قد خطت خطوات كبيرة في عملية الاستيلاء على بلاد القبائل إلا أنه مازالت هناك تجمعات كبيرة حول جرجرة لم تخضع بعد ،ولها تأثير كبير على المنطقة ،وقد تقرر إرسال قوة كبيرة

---

(1) محمد سي يوسف، المرجع نفسه ، مرجع سابق، ص 64.

*1الجنرال تريزال كان رئيس وزراء في عهد شارل العشر، خلف الجنرال ديمشال منذ عام 1835.

*2إتفاقية التافنة30 ماي 1837 بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو الذي تعرض لخسائر فادحة بسبب المقاومة الجزائرية.

*3الأمير عبد القادر ولد بمعسكر عام 1808، رائد سياسي وعسكري، وهو كاتب وشاعر وفيلسوف وصوفي ورمز من رموز المقاومة

(2) شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القادر سعد الله دار التونسية،1974، ص161ومايليها

لإخضاعها ولهذا الغرض تحركت فرقة من سطيف بقيادة الجنرال بيدو وفرقة أخرى تحركت من البويرة بقيادة الجنرال بيجو ، وكان ذلك يوم 12 ماي 1847 و هدفها هو فتح الطريق مابين سطيف وبجاية للتجارة والمواصلات والصناعة، وكان تركيز السلطات الفرنسية في هذه المنطقة وفي 23 ماي 1847 كانت الفرقتان اللتان تشكلان جيشا من خمس عشر ألف عسكري قد التقتا أمام بجاية بعد أن حققتا جزء من الهدف رسمتاه في البداية، غير أن الحملة فشلت فيما بعد[1]

وبعد هذه المحاولات الفاشلة لإحتلال منطقة القبائل استدعى الجنرال راندون الذي قصدها بجيش عظيم واستنجد بالماريشال ماكماهون*1 فأتاه بالعدة والعتاد، وقد استعمل جميع الوسائل من حرق وحشد وقتل جماعي وهذا لإدخال بلاد القبائل تحت السلطة الفرنسية، وقد سلك طريق روما حيث عمل على شق الطرق التي كان يرى أنها الوسيلة الوحيدة التي ستسهل العمل على القوات الفرنسية للتغلغل إلى داخل المناطق الجبلية فشق الطريق الرابط بين بجاية ودلس ثم الطريق ما بين سور الغزلان وسطيف وكان يرى أن هذه الطرق ضرورية قبل بداية الحملة ، وبعد سقوط منطقة القبائل قام راندون بوضع حجر الأساس لقلعة سماها قلعة نابليون بسوق الأربعاء ناث إراثن وأختار لها 14 جوان ذكرى نزول الجيوش الفرنسية في سيدي فرج[2]

أما عن مقاومة سكان المنطقة للإحتلال، فإن الأهالي تجندوا منذ نزول الحملة الفرنسية بسيدي فرج، وشاركوا فى معركة أسطاولي وأبلوا بلاء حسنا خصوص وأنهم كانوا مقاتلين وقناصين من الدرجة الأولى، و ظهرت في منطقة القبائل مقاومات شعبية قام بتنظيمها مشايخ ورؤساء القبائل، ففي جبال جرجرة برز كل من سي قويدر التطراوي، وإبنه بوحمارة(1834–1855م) والشريف بوعود ومولاي إبراهيم ومولاي محمد (1845–1853) ومحمد الأمجد بن عبد المالك بوبغلة(1851–1855م) والذي وجه ضربات قاسية للفرنسيين، والمجاهدة لالة فاطمة نسومر(1843–1857) وفي جبال البيبان وحوض الصومال وحوض الحضنة وجبالها وجبال البابور برز الحاج المقراني وأخوه بومرزاق، والشيخ محمد أمزيان علي الحداد وأبنائه: الشيخ عزيز، والشيخ أمحمد [3].

(1)شارل هنري تشرشل،المرجع نفسه ،ص180

*1ماكمهون شارك في الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر قاد حملة عام 1857 على ميلة وإحتل منطقة جرجرة

(2) البوعبدلي المهدي، نبذة تاريخية عن ولاية تيزي وزو، مرجع سابق،ص2263

(3) بوعزيز يحي، مرجع سابق، ص22

وكانت مقاومة سنة 1871 أخطر مقاومة واجهها جيش الاحتلال الفرنسي في القرن التاسع عشـــر، وقد بدأت بوادرهذه المقاومة في شهر جانفي 1871 بتمرد الصبايحية في زمالاتهم قرب بوغـــار وفـــي الطارف، وعين القطار، وبوحجار، حول سوق أهراس بشرق البلاد، وأعلنت بصفة رســمية يــوم 16 مارس 1871 من طرف باش أغا مجانة الحاج مقراني، وأصبحت مقاومة شعبية عندما أعلــن الشــيخ الحداد الجهاد في صدوق يوم 08 أفريل 1871 وقد امتدت هذه المقاومة عاملا كاملا، وشــملت نصــف مساحة البلاد تقريبا وكانت جبال البيان والبابور وجرجــرة، والتيطــري والحضــنة، وحــوض وادي الصومام، ووادي الساحل والوادي الكبير من أهم الميادين التي جرت بها أكبر معارك والأحــداث لهــذه المقاومة .

أما عن الإخوة الرحمانيون فقد لعبوا دورا بارزا، ورئيسا و فعالا في كل المناطق التي إمتدت إليهــا المقاومة فيها وكانوا أداتها الرئيسية في الدعاية والمراسلات والاتصالات في المعارك، وفي حصار المدن والقلع والحصون والمراكز العسكرية، وبلغ عدد المجندين الذين تجندوا في هذه المقاومة مأتي ألف رجل وبلغ عدد المعارك ثلاث مائة وأربعين معركة [1]

(1) بوعزيز يحي، مرجع سابق، ص23

رابعا/ المحاولات التنصيرية الأولى في منطقة القبائل:

عرفت المحاولات التنصيرية الأولى في منطقة القبائل مرحلتين هما:

1- المرحلة الأولى وتبدأ من ما قبل عام 1858 وهي السنة التي تم احتلالها رسميا بقيادة الجنرال راندون إلى غاية سنة1860

2- المرحلة الثانية وتبدأ من سنة 1860 إلى 1870 وما بعدها ويمكن تصنيف الجهات التي اهتمت بتنصير المنطقة إلى

– العسكريون

– السياسيون

– رجال الدين المسيحي

فالمرحلة الأولى كانت مرحلة دراسات استطلاعية، حاول مؤلفوها إثبات المسيحية قديما بهذه المنطقة، وترويج فكرة تقارب وتشابه سكانها بالفرنسيين، وقد كان العسكريون أبرز من كتب عن بلاد القبائل وهم على التوالي: الجنرال دوماس، أوكبتان، كاريت، فابار، دوفو، الطبيب العسكري لوكر وقد كتب هؤلاء بالتفصيل عن هذه المنطقة، من حيث العادات والتقاليد، والتاريخ، وغيرها وأغلب هؤلاء كانوا أعضاء في لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر التي تأسست عام1837، وكتاباتهم تخلو من الروح العلمية والموضوعية.

أما عن السياسيين الذين كتبوا ونادوا بتنصير القبائل الدكتور واريني الذي نشر عدة مقالات في جريدة الرأي الوطني تناول في إحداها دراسة عن هذه المنطقة ومما جاء فيها هو أن البربر أكثر عدد من العرب، وقد شك في إسلامهم حينما قال "... وربما هما مسلمون ولكنهم يحملون وشاما على شكل صليب فوق الجبهة وعلى الوجهتين... وبربر جرجرة يبدون استعدادا للرجوع إلى المسيحية" [1] .

أما عن رجال الدين المسيحي، فقد كان الأب دوقا من رجال الدين اليسوعيين الذين عكفوا على دراسة المنطقة وقد روج في دراسته هذه بأن الديانة المسيحية ستعمر على فرنسة القبائل وذلك عن

(1) بقطاش خديجة، المرجع نفسه ، ص 138

طريق الوعظ و الإرشاد الديني، وهو كغيره يؤمن ويعتقد بالأصول المسيحية لهذه المنطقة لهذا استشـــهد ببعض الآثار التي يقول عنها أنها بقايا مسيحية منها القرية الموجودة قرب جامع الصهريج والتي تسمي أمصلوب أي السيد المسيح عليه السلام ، كذلك الوشام ذو الشكل الصليبي الذي يوجد على جبهات النساء وأيديهن وعلى مداخل البيوت غير أن هذه الأدلة في نظري لا أساس لها من الصحة فالوشـــام تســـتعمله النساء للزينة وليس سوى شكال من الأشكال الهندسية كالتالي تستعمل لتزيين الزرابـــي، وهـــذه الآثـــار وضعت لخدمة أهداف التنصير في هذه المنطقة، وإذا كان الوشام رمزا دينيا فلماذا لم يستعمله المسيحيون أنفسهم ؟

هذا بالنسبة للمرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية، فقد أصبح فيها التنصير بالمنطقة حقيقة ملموســـة، تبنى فيها دعاة التنصير من الرجال الدين وغيرهم ما جاء من هـــذه الدراســـات لتحقيـــق المخططـــات التنصيرية لهذه الناحية(1)

وقد تزامنت هذه المرحلة مع ظروف الاحتلال، والمعروف تاريخيا أن هذه المنطقة خلال الســـنوات الممتدة من عام 1838–1864 عرفت خمسة عشر حملة عسكرية كان آخرها معركة إيشريضـــن فـــي صيف 1857 خرج منها الجنرال راندون منتصرا، ولكي يعطي البعد الديني لهذا الانتصار، اصـــطحب معه الأسقف بافى[*1] والأب سوشي للتبرك بهما، ويظهر من ذلك مدى تعاون السلطة الفرنسية العســـكرية مع رجال الدين المسيحي(2).

أثناء هذه المرحلة الصعبة,والظروف القاسية بعد المقاومة وما حل بها من فقر وقهر وتدمير، كشف رجال الدين عن نواياهم حينما أبدوا تعاونهم مع السلطة العسكرية، وبإلحاح من الأسقف بافي.تم إرســـال الأب اليسوعي حان باتيست كرواز إلى منطقة القبائل كمرشد ديني بتاريخ 20 أكتوبر 1863، وقد راح يجري اتصالات مع شيوخ الزوايا عاقدا معهم جلسات دينية تناول فيها تفسير الإنجيل، وكان من الـــذين تبنو مقولة أصول بلاد القبائل واستعداد سكانها لاعتناق المسيحية، وقد أدرك أن أهم وســـيلة للاتصـــال بالسكان هي اللهجة القبائلية حيث حرص على تعلمها في وقت وجيز لاستعمالها في نشاطه، وقد ذهـــب

(1)Oaugas.la kabylie et le peuple kabyle.paris،1877،p89•

(2) سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، الجزائر، 1992، ص 389

*1الأسقف بافي هو لويس أنطوان بافي، حل بالجزائر يوم 10 جويلية 1846. كان دبلوماسيا، ربط علاقات ودية مع السلطة العسكرية حتي يتمكن من نشر المسيحية، استطاع نيل عطف الجنرال بيجو

إلى أبعد من ذلك حينما ترجم الإنجيل إلى القبائلية، والذي تم طبعه عام 1868م تحت عنوان" كتيب أو دفتر الإنجيل"[(1)]

أبدى كروزا من الحماس الديني ما جعله يطوف بالقرى الواحدة تلو الأخرى ،فزار حوالي سبعين قرية للتعرف على المجتمع القبائلي وسكانه عله يكسب رضاهم ،وأخذ يجلبهم إليه بتوزيع الملابس والسكر والقهوة ويقدم لهم إرشادات دينية، وأضاف إلى هذه الأعمال الخيرية فتح مدرسة كانت بمثابة ملجأ للأيتام جمع فيها حوالي عشرين طفلا،و قد إنتشرت أعماله بمختلف القرى، إبتداءا من بني يني إلى أيات جناد[(2)]

وبعد أن مهد كروزا لمخططه التنصيري بالأعمال الخيرية، أخذ يحدث السكان عن الديانة المسيحية ومزاياها، وركز جهوده على قرية بني فراح لاعتقاده أنه نجح في جلب سكانها،ورغم أنه لقي معارضة إلا أنه واصل مهامه الخيرية، لكن أمين قرية بني فراح تحداه ورد على إدعاءاته بعدم قبول السكان إعتناق الديانة المسيحية، أمام هذا الموقف اضطر كروزا إلى الانسحاب إلى قرية بني يني ليستأنف العمل بها،لكنه لقي نفس المعارضة، فنشاطه كان مصدر قلق مما جعل الكولونيل هانتو ضابط المكتب العربي بذراع الميزان من أشد معارضي التنصير في بلاد القبائل، وقد صرح أكثر من مرة أن التنصير سيجد حاجزا لا يمكن اجتيازه ويتمثل في التضامن الذي يربط الفرد بالعائلة، فالتنظيم العائلي والاجتماعي لهؤلاء السكان لن يسمح بتنصيرهم، ورغم الجهود الذي بذلها كروزا مدة خمس سنوات ،إلا أنه فشل ويعود ذلك إلى المعارضة الشديدة من طرف السكان.[(3)]

(1) بقطاش خديجة، مرجع سابق، ص 143.

(2)سعد الله أبو قاسم، مرجع سابق، ص 103.

(3) بقطاش خديجة، مرجع سابق، ص 147.

الفصل الثاني : الكاردينال لافيجري ونشاطه التنصيري في منطقة القبائل

أولا: شخصية الكاردينال لافيجري ودوره في تطوير نشاط الحركة التنصيرية

ثانيا: العوامل التي إستغلها لتنفيد مخططه التنصيري

ثالثا: برنامجه الديني وخططه التنصيرية

رابعا: نتائج نشاطه التنصيري في منطقة القبائل

الفصل الثاني : الكاردينال لافيجري ونشاطه التنصيري في منطقة القبائل

أولا: شخصية الكاردينال لافيجري ودوره في تطوير نشاط الحركة التنصيرية:

يعتبرالكاردينال لافيجري[*1] شخصية دينية من أبرز رجال الدين المسيحيين، كونها شكلت لوحدها قطبا رئيسيا لدفع مسار الإرساليات التنصيرية التي عملت على بسط نفوذ التواجد المسيحي توازيا مع النفوذ العسكري والسياسي الفرنسي بالجزائر، الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن الاستراتيجية التي رسمها لخوض غمار التنصير في منطقة القبائل وعن مستقبل منشأته ونشاطه التنصيري.

1-النشأة والتكوين:

ولد شارل أنطوان مارسيال لافيجري في 31 أكتوبر 1825م بمدينة وير قرب بايون على سفوح جبال البريني، وهو الابن الأكبر في عائلته لمتكونة من أخ وأختين، شغل أبوه ليون لافيجري منصب مفتش لدى مصلحة الجمارك بالمدينة أما عن أمه فهي لورا لاتريل وهما من عائلة بورجوازية[(1)].

أظهر لافيجري منذ صباه توجها دينيا خالصا من خلال حضوره الدائم بكادترائية المدينة، وحتى في ألعابه كان يحب لعب دور الأسقف، حيث كان يتوهم إقامة القداس والمراسيم الدينية المسيحية، وعندما رأى والده مدى التوجه الديني عند ابنهما أدخلاه معهد الدعاية التنصيرية، سانت لويس دو قوزاني، ثم المدرسة الإكلركية الصغرى للدراسات الأسقفية بلاروسور، وفي سنة 1840 أي عندما بلغ الخامسة عشر من عمره أدخل المدرسة الإكلركية سان نيكولا دوشاردوني بباريس وفيها لبس لباسا دينيا ووهب نفسه لخدمة الكنيسة، وفي سنة 1848 عين في منصب ديني، فأصبح شماس إنجيلي[*2] ، ثم ارتقى إلى رتبة قسيس[*3] على يد الأب سيبور[*4] يوم 02 جوان 1849[(2)].

---

(1) Baurnard (M)، Le cardinal Lavigerie، Librairie Paussielgue، paris، 1898، p 6.7.

*1 انظر الملحق 1.

*2 شماس إنجيلي هو خادم الكنيسة وهو من يقوم بمعاونة الكاهن في أداء الخدمات الدينية والصلوات الكنسية

*3 قسيس هي ثاني الرتب في الرتب الكهنوتية المسيحية

*4 سيبور هو مطران مدينة باريس

([2]) بطاش علي، مرجع سابق، ص56.

واصل لافيجري دراسته الأكاديمية بمعهد الدراسات العليا بكارم في 12 جويلية 1850، فقدم أطروحتين لنيل الدكتوراه بمعهد الآداب بباريس، الأولى بالفرنسية تحت عنوان "خواطر المدرسة المسيحية بإيداس بالمشرق" والثانية باللاتينية حول الكاتب هيجيسيبو*[1]، وفي سنة 1850 عين أستاذ للآداب اللاتينية بمعهد ليكارم، وأعد حينها أطروحة دكتوراه أخرى في اللاهوت قدمها سنة 1854 فمنحت له باستحقاق، ثم عين كأستاذ محاضر بجامعة السربون سنة 1854 وشرع في تدريس التاريخ الكنسي(1).

2–نشاطه الديني والسياسي:

عندما أسس عدد من المسيحيين الكاثوليك سنة 1855 جمعية مدارس الشرق أختير لافيجري مديرا لها سنة 1861، ومن هنا بدأ النشاط التنصيري له، ليدوم ثلاثين سنة كاملة، وكان أول اتصال له بالعالم الإسلامي هو بنصارى المشرق سنة 1860 حين زار بلاد الشام وحمل للمسحيين هناك إعانات مادية جمعت في أوربا لمساعدة المسيحيين في الحرب الطائفية*[2]، وقد صادف لافيجري عند مكوثه بالشام وإعانته للمسيحيين أن قابل الأمير عبد القادر، كما تعرف على المهاجرين الجزائريين هناك قبل توليه أسقفية الجزائر.

بعد ثلاثة أشهر من العمل والجهد في مساعدة المسيحيين بالشام قفل لافيجري راجعا نحو باريس، أين اعترفت له الحكومة الفرنسية بدوره في خدمة السياسة الفرنسية في العالم الإسلامي، وأسندت له وسام الشرف في 08 ديسمبر 1861 واعترافا بخدماته المعتبرة للمسيحية رقي لافيجري إلى منصب بابوي لمنطقة الصحراء وإفريقيا الغربية، ثم لمنطقة إفريقيا الاستوائية من سنة 1878 ثم مديرا رسوليا لأساقفة تونس بعد انتصاب الحماية الفرنسية عليها سنة 1881 وبعدها مطرانا*[3] على كنيسة قرطاج، ثم مقدما لأساقفة إفريقيا. (2)

---

*1 هيجيسيبو هو أحد المنصرين في القرون الوسطى بالمشرق.

(1) شلبي عبد الجليل، الإرساليات التبشيرية، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، ص158

*2الحرب الطائفية هي فتنة حدثت سنة 1840 بين طائفة الدروز المسلمة وطائفة الموازنة المسيحية.

(2) سعد أبو القاسم، المرجع نفسه ، ص404.

*3 هو اسقف كبير وذو أقدمية

أما عن نشاطه في الجزائر، فبعد وفاة الأسقف بافي سنة 1866 وشغور منصبه، اقترح الحاكم العام مكماهون على لافيجري قبول خلافته، وتذكر بعض المصادر التاريخية الفرنسية أن تعيينه على رأس أسقفية الجزائر ارتبط بأسطورة رؤيا، سبقت هذا التعيين، والتي رأى فيها لافيجري رسالة إلهية للقيام بنشاط مسيحي جبار في هذه القارة الإفريقية التي يجب أن يعاد لها مجدها المسيحي الروحاني قبل كل شيء.

وبعد تعيينه مطرانا على أسقفية الجزائر أبحر نحو الجزائر، وقد صادف وصوله يوم 16 ماي 1867 وقوع مجاعة الستينات والتي صاحبها خطر الجراد الذي أتلف المحاصيل في إقليم مجانة بين 1869 و1870، وكذلك الفقر الاقتصادي وانتشار الأمراض والأوبئة القاسية(1).

بالنسبة للأزمة فقد تعامل معها لافيجري على أساس أنها بركة جاءت لتحقيق مشروع التنصير العظيم الذي بدأه دوبوش، فعمل على جمع الأيتام والفقراء وجمع التبرعات، وجند جهودا لإيواء حوالي ألفي طفل من الذين شردوا بعد موت أهاليهم، وبدأت حملة الاحتفاظ بالأطفال وتكوينهم تكوينا مسيحيا وتعميدهم وإيقائهم رجالا ونساء في قرى خاصة*1، ثم تزويجهم عند البلوغ من بعضهم وهكذا تتكون الأسر المسيحية من السكان أنفسهم(2).

أما المجال الثاني الذي عمل فيه لافيجري فهو تكوين المؤسسات التي تواصل مهمته أثناء حياته وانتقاله إلى تونس وبعد وفاته أيضا، ومن هذه المؤسسات جمعية الآباء البيض وجمعية الأخوات البيض*2، وكان يعتقد أنه بتكوينه لهذه الجمعيات(3) إنما يقوم بحملة صليبية حقيقية، أما أبرز هيكل ديني مسيحي عمل لافيجري على تشييده في أرض الجزائر هو في كاتدرائية السيدة الإفريقية*3 التي أكمل لافيجري بناءها بعد أن بارك الأسقف بافي حجرتها الأولى قبل خمسة عشرة سنة، واختار يوم 02 جويلية 1872 تاريخا لتكريس الكاتدرائية، وأراد أن يكون نفس اليوم شاهدا على تدشين حفل زواج

---

(1) سعد الله ابو القاسم، مرجع سابق، ص405.

(2) محمد العربي ولد الخليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، دراسة في مسار الأفكار وعلاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة العالمية، منشورات ثالة، الجزائر، 2007،ص48.

(3) جوليان شارل أندري، تاريخ الجزائر المعاصرة، مج1، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص ص 736، 739.

*1القرى المسيحية بناها لافيجري ناحية شلف وهما "سان سبريان" تخليدا لأسقف قرطاجة و "سان مونيك" تخليدا لذكرى القديس أوغسطين

*2هما تنظيمان من الرجال والنساء تجندوا لنشر المسيحية وجلب السكان إلى أحضانها.

*3 انظر الملحق رقم 2.

مسيحي لأربعة من يتامى مجاعة سنة 1867 التي صادفت بداية نشاطه، وهو زواج بن عيسى وحليمة من بلاد القبائل من جهة ومن جهة أخرى زواج جون شريف وزهرة بشرشال، حيث ألبسهم الآباء والأخوات لباسا فرنسيا، كما شهد نفس اليوم حدثا بارزا تمثل في ارتداء الآباء والأخوات البيض لباسهم الديني الرسمي.

أما من حيث المعاهد والمدارس فإن لافيجري نظم طبيعة الدراسة في معاهد تكوين المبشرين وفق ما يلي:

1- المدرسة الإكلركية الصغرى: كانت بمثابة ثانوية يعد فيها الطلبة البكالوريا.
2- المدرسة الإكلركية الكبرى: كانت بمثابة كلية اللاهوت، توجد بالقبة وقد أنشأ مدرسة مثيلة في وهران وأخرى في قسنطينة.
3- ثلاثة مدارس للمنصرين المبتدئين واحد منهم للذكور مقره بالأبيار ثم نقل إلى الحراش ومنه إلى العطاف بسهول الشلف، الثاني للإناث وكان مقره بالقبة ثم بوزريعة ثم أعيد نقله إلى القبة، أما الثالث فهو للإناث ومقره في تونس قرطاج[1].

أما الجانب الإعلامي فلم يهمله لافيجري أثناء نشاطه التنصيري بالجزائر حيث أنشأ في الشهور الأولى من نشاطه "مجلة السيدة الإفريقية"، وكانت لها أغراض دينية تنصيرية هدفها إطلاع الرأي العام المسيحي في الجزائر وفرنسا وكانت المجلة الوسيلة الإعلامية التي استطاع لافيجري من خلالها فرض وجوده[2].

ولم يتوقف نشاطه عند المناطق الشمالية بل تجاوزها إلى الصحراء ثم إلى السودان التي رأى أنها مكملة للجزائر، وكان الآباء البيض قد استقروا في غرداية وفي بسكرة وفي المنيعة وورقلة وأخذوا يبثون الدعاية للديانة المسيحية وينشرون التعليم الزراعي والمعهني[3].

وقد اتضحت مرامي لافيجري الهادفة إلى تنصير الصحراء منذ تعيينه مندوبا رسوليا للصحراء، وتعتبر بسكرة المركز الرئيسي لانطلاق الدعاية التنصيرية بالصحراء ، حيث اتخذ منها لافيجري مركز

([1]) وعلي محمد الطاهر، مرجع سابق، ص157، 159.

([2]) بطاش علي، مرجع سابق، ص56.

([3]) بولافة حدة، واقع المجتمع المدني إبان الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال، ماجستير، جامعة باتنة، 2011، ص103.

إقامته الشتوية وكان يأتيها طالبا للمعافاة والمعالجة الصحية بالمياه المعدنية، وحاول خلال فترة إقامته فيها القيام بدراسات وأبحاث عن تاريخ إفريقيا المسيحية القديم.

أما عن الأساليب والخطط التنصيرية للكاردنيال لافيجري في الصحراء الجزائرية فهي.

- إنشاء فرقة إخوان الصحراء المسلحين.
- الاعتماد على مسألة محاربة الرق.
- إنشاء سكة حديدية عابرة للصحراء(1).

أما تونس فقد التفت إليها منذ سنة 1875 جاعلا من التعليم مقدمة لعمله في محاولة لتمهيد الــبلاد، فأسس قبيل انتصاب الحماية معهد القديس لويس، كما قام بإحياء كنيسة قرطاج القديمة ومنحها اسم كنيسة القديس لويس، وفي سنة 1882 رقي إلى منصب كاردينال*1، وفي 26 نوفمبر 1892 انتشر المرض في جسمه حتى أصيب بشلل تام وتوفي عن عمر يناهز 67 سنة ودفن قرطاج تونس(2).

---

(1) العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص110.

*1الكاردينال هو مركز رسمي لأسقف مسؤول في الكنيسة الكاثوليكية ويتم تعيين الكرادلة من قِبل البابا

(2) المحبوبي علي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، سراش للنشر، تونس، 1986، ص159.

ثانيا: العوامل التي استغلها لتنفيذ مخططه التنصيري.

تعتبر منطقة القبائل أهم المناطق التي ركز عليها لا فيجري جهوده التنصيرية، وقد دفعته و أذكت طموحاته في ذلك عدة عوامل هي:

العامل الديني والعرقي:

حيث اعتقد لا فيجري ومن ورائه سلطان الاحتلال أن إسلام سكان المنطقة سطحي و أن القرآن لم يدخل بشكل عميق إلى تقاليدهم وعاداتهم، وأن هذا الدين لم يتمكن من النفاد إلى حياتهم العائلية والاجتماعية و انطلاقا من ذلك حاول التشكيك في إسلام سكان منطقة القبائل، كما صرح لافيجري أن القبائل والفرنسيين من سلالة واحدة هي سلالة الرومان ولم يكتفي بذلك بل حاول أن يقنعهم بأن دما واحدا و أصلا رومانيا واحدا، وعلامة مسيحية واحدة، خلقت كلها بين القبائل والفرنسيين[1].

العامل الاجتماعي والثقافي:

حيث حاول لا فيجري خلق كل ما يمكنه من التأثير على السكان فالتفت إلى:

1) العرف:

وقد عمل لا فيجري على استغلال الادعاءات التي تقول أن الممارسات الاجتماعية والاصطلاحات قد استوحاها أجداد سكان منطقة القبائل من القانون الروماني المسيحي أي أنهم لم يستخرجوها من تعاليم الدين الإسلامي والعرف في منطقة القبائل هو مجموعة من القوانين التي يتعهد سكان قرية ما أو عدة قرى، بالسير في حدودها والعمل على تطبيقها، ومعاقبة من يخالفها وقد فرضته عليهم طبيعة المنطقة التي يعيشون فيها وما تمتاز من صعوبات، هذه التي تقتضي منهم التعاون والتكاثف والتضامن للتغلب عليها وهذه كلها من تعاليم الدين الإسلامي الذي يدعو المسلمين التحلي بها[2].

2) اللهجات:

(1) مقران يسلي، مرجع سابق، ص119.

(2) وعلي محمد الطاهر، ص64.

كانت إحدى الركائز التي اعتمد عليها لافيجري لإضفاء طابع الشرعية على مخططه التنصيري، فالقبائلي في نظر القساوسة ورجال الدين المسيحي لا يتعامل مع ذويه باللغة العربية، ومن ثم فإن هذه اللغة تعتبر دخيلة على لغة السكان المنطقة لذا استغل اللهجة المحلية الأمازيغية لتطبيق فكرة "فرق تسد" وزرع الخلاف حتى يسهل عليه فصل المنطقة من الوطن الجزائري.

3) القدرة على التكييف:

حيث ارتكز لافيجري على مقولة أن سكان القبائل يمتازون بالقدرة على التكييف وأكثر قابلية للتمدن، فحيث أنهم تقبلوا الإسلام ديننا والعربية لغتنا فباستطاعتهم تبني وبشكل سريع عادات الفرنسيين ووسائل معيشتهم ولغتهم.

4) كثافة السكان وانعزالهم:

لاحظ لافيجري أن كثافة السكان في منطقة القبائل مرتفعة رغم ضيق الرقعة الجغرافية التي يعيشون عليها، فشجعه ذلك على اختيارها لتكون أكبر ميدان للعمل التنصيري في الجزائر(1).

العامل الاقتصادي:

ازداد اهتمام لافيجري بمنطقة القبائل عندما اشتدت حالة الفقر، وخاصة بعد الهزيمة التي ألحقتها قوات الاحتلال بالمقاومة سنة 1871، ففشل المقاومة ترك أثار سيئة على معيشة سكان تلك المنطقة، حيث عمدت سلطات الاحتلال إلى تفقير السكان بمصادرة أخصب الأراضي التي يملكونها وقد صارت خمسمائة ألف هكتار وفرضت غرامات مالية وغيرها عليهم، وهذه الحالة جذبت لافجيري وشجعته على تنصير السكان تحت ستار التعليم والعلاج والأعمال الخيرية(2).

إضافة إلى هذه العوامل هناك عوامل أخرى زادت من اهتمام لافجيري بالمنطقة وهي:

---

(1)Sahari Samia، étude des pratiques et des conduites religieuses chez les convertis au christianisme en Kabylie، mémoire de magister، université mouloud Mammeri، tize ouzou، ،2012p37.

(2) بوعزيز يحي، مرجع سابق، ص92.

– فشل الأب كروزا في خططه التنصيرية حينما اعتمد على أسلوب التنصير المباشر مما جعل لافيجري يبحث عن الوسائل الناجحة للتنصير، وقد أرجع من جهته فشل كروزا إلى النقص في الروح التضحية لديه أولا، والسبب الثاني هو الموقف المعارض للتنصير من المكاتب العربية.

– عزلة هذه الجهة عن مراكز الحياة الدينية الإسلامية، حتى ولو أنها كانت في القرن الثامن عشر مهدا للزاوية الرحمانية.

– وقوف باب روما إلى جانبه ولا سيما عند إعلان ولاء الكنيسة الفرنسية للجمهورية بعد سقوط الملكية في فرنسا.

حصوله على مساعدات و تبرعات مالية *1 من المسيحيين في كل من فرنسا وبلجيكا وأمريكا وهولندا و المجر .

– إخماده لمقاومة الطريقة الرحمانية بمساندته المطلقة للعسكريين(1).

– تشجيع الأميرال دوقيدون*2 المطلق للتنصير، لذا فإن الحركة التنصيرية قد عرفت تطورا كبيرا، في عهده، لأنه ساندها ودافع عن المسيحية منذ تعيينه على رأس الإدارة المدينة بالجزائر، ويظهر أنه كان مقتنعا بسياسته الادماج وآمن بأفكار ونظرية لافيجري ورآها ملائمة للظروف التي كانت تمر بها الحركة الاستعمارية آنذاك في الجزائر ويتضح ذلك من قوله: إن الهدف الذي يرمي إليه المبشرون هو نفس الهدف

الذي أريد أن أصل إليه "إنه إدماج سكان منطقة القبائل في المجتمع الفرنسي".ويعتقد لافيجري أن الوصول إلى هذا الهدف التنصيري يجب أن يتم في إطار لبنان إفريقي، وهو لبنان الذي تخلت عنه أوروبا فاندثرت معالم المسيحية فيه وقد شبه مسيحي سكان منطقة القبائل بهذه الأقاليم الجبلية بمسيحي سوريا ولبنان الذين اعتكفوا بالجبال فارين من الفتح الإسلامي(3).

(1) بقطاش خديجة، مرجع سابق، ص 147.

*1 انظر الملحق 3.

*2 الأميرال دوقيدون عين حاكما عاما على الجزائر بتاريخ 29 مارس 1871.

(3) مقران يسلي، مرجع سابق، ص 125.

ثالثا: برنامجه الديني وخططه التنصيرية:

شرع لافيجري بعد إخماد ثورة المقراني على توجيه نشاطه التنصيري بمنطقة القبائل، فوضع برنامجا خاصا يسير عليه الآباء البيض في عملهم وهو:

1- العمل على التنصير الجماعي لا الفردي، أي تنصير القرية بأكملها أملا في القضاء على روح التعصب الديني لديهم.

2- أن المسيحي في نظر السكان إنسان كافر ولذا أوصى لافيجري المنصرين بأن يتظاهروا بمظهر التدين حتى يكسبوا الإحترام.

3- التحلي بالصبر والتسامح وتقبل الشتم والسب.

4- جلب السكان بواسطة الأعمال الخيرية (الإحسان، الأعمال الطبية الإسعافية، زيارة القرى للمعالجة وتعليم الأطفال).

5- الإندماج وسط الأهالي عن طريق لغتهم، لباسهم وأنماط معيشتهم.

6- عدم التعرض للدين المسيحي لأن ذلك ينفر السكان ويفشل المساعي التنصيرية[1].

وقد ارتكز لافيجري على دعائم أساسية لتحقيق برنامجه التنصيري بالمنطقة تكمن في:

1- استحالة تنصير مسلم قبائلي بالطرق التقليدية للتنصير المباشر، فالمسلم معروف بتعصبه –حسب زعمه– ورفضه لكل ما يخالف عقيدته وهذا حسب قوله: "إن الأهالي عمي، لا يجب أن نقدم لهم النور برهة واحدة مخافة أن نراهم يتساقطون ويتهاوون للأبد في الظلمات فهذا النور إذا ما جرح كبريائهم من شأنه أن يحدث لديهم كرها وحقدا". [2]

2- تجنب التنصير العلني المباشر وسط القبائل المسلمين لأن الأمر من شأنه أن يحدث موجة من التعصب ستكون وبالا على العمل التنصيري، فالتهاون من شأنه أن يعطل لسنوات عديدة وحتى لقرون، عملية إنقاذ هذا الشعب.

3- خطر إرتياد المتنصرين ولتوسيع دائرة النشاط التنصيري بالمنطقة عمل لافيجري بمعية الآباء البيض وحتى اليسوعيين الذين كان لهم السبق إلى المنطقة على إنشاء مراكز تنصيرية تكون بمثابة قواعد بسط النفوذ والغزو الروحي على المنطقة وهذه المراكز هي:

---

(1) بقطاش خديجة، المرجع نفسه ، ص157.

(2) مقران يسلي، المرجع نفسه، ص146.

- مركز بني يني الذي كان لليسوعيين ثم تسلمه الآباء البيض سنة 1883.
- مركز ثاغمونت عزوز في بني عيسى أنشأ سنة 1873 وأشرف عليه أربعة منصرين.
- مركز تاوريريت عبد الله في آيت واضو أنشأه الآباء البيض سنة 1873.
- مركز إيبركانن أنشأ سنة 1873.
- مركز ورزان في بني منقلات أنشأ سنة 1876 وكان به خمسة منصرين.
- مركز أغيل علي في بني عباس أنشأ سنة 1879.
- مركز بونوح أنشأ سنة 1876.
- مركز جمع الصهريج أنشأ سنة 1872 أسسه اليسوعيين وتركوه سنة 1880 وأصبح في يد الآباء البيض ابتداء من سنة 1883.
- مركز وادي عيسى (قرب تيزي وزو) [1].

وهكذا فقد تم في الفترة ما بين 1873 و 1876 نشر خمس مراكز للآباء البيض ليصل عددها سنة 1878 إلى 49 كنيسة أشهرها كنيسة "سان جوزيف" و"سان شارل"، وتمكن لافيجري سنة 1888 من تأسيس 68 كنيسة، إلى أن وصل عددها عام 1892 إلى 121 كنيسة[2]، كما عمل لافيجري على شراء بعض الأراضي في تاوريريت عبد الله لتدعيم النشاط التنصيري بها، وفي سنة 1878 شرع في بناء مراكز تنصيرية في الأراضي التي اشتراها وأقام فيها الأخوات البيض مركزهن الأساسي وحتى ينجح لافيجري في نشاطه التنصيري أوصى الأباء البيض باللجوء إلى الوسائل التالية:

1-اعتماد وسيلة الأعمال الخيرية: حيث رأى أنها أنجح السبل لإنجاز الأعمال التي فرضت سلفا بالسيف فخاطب الآباء قائلا "ساعدوا الفقراء... إنكم بذلك تشرفون عقيدتكم وتخدمون المسيحية ذلك أن طريقتنا أخذ منها والدفاع عنها ليس لجعلها مخيفة ومروعة بل لتجعل الآخرين يحيونها"، وانطلاقا من ذلك دخلوا إلى أعماق الأسرة القبائلية حتى أصبحوا يقرأون رسائل الأسر ولم يتوان هؤلاء في أن يصبحوا سعاة بريد، وأوصلهم هذا إلى معرفة أسرار العائلات والتدخل في حل القضايا العائلية، كما لم يهمل الآباء العمل الزراعي فعملوا على تلقين الأطفال والتلاميذ طرقا زراعية حديثة وقد أشرف هؤلاء

([1]) بقطاش خديجة، مرجع سابق، ص159.

([2]) بطاش علي، مرجع سابق، ص50.

الآباء على تنظيم دروس في كيفية غرس الأشجار المثمرة بقرية بني منقلات وإقامة معاصر مكنتهم من استدراج سكان القبائل نحوها بعصر زيتونهم الذي يشكل أعز منتوج فلاحي لديهم[1].

2-اعتماد وسيلة التطبيب: حيث أوصى لافيجري الآباء ومعهم الأخوات مباشرة عملهم التنصيري على مراحل هي:

- إقامة الصلوات أمام المرضى وتكليفهم بالمشاركة في ذلك.

- توزيع الصليب على بعض العجزة من المرضى وتعليق بعضها على حجراتهم[2].

- إيجاد الفرص الملائمة للتحدث مع المرضى في الشؤون الدينية على شكل توجيه أخلاقي، فالطبيب أو الممرض من الآباء لا يعمل على تخفيف الألم فحسب بل يحمل إليهم رسالة السيد المسيح[3].

كما كثف الآباء عملهم بزيارة الأهالي في منازلهم قصد تقديم العلاج والإسعاف لأن ذلك من شأنه أن يوسع دائرة احتكاكهم بالسكان إذ لا يتعلق الأمر بالمريض الذي سيعالج فقط بل يتعداه إلى أهله ومنه يصل إلى الجيران، وبهذه الكيفية سيؤثرون على الكثير من سكان القرية بدل التأثير على المريض فقط.

3-اعتماد وسيلة التعليم: وقد انصب اهتمام لافيجري على تعليم الأطفال لأسباب هي:

- سهولة التأثير على الأطفال تلقينهم مبادئ النصرانية لكونهم لم يتشبعوا بعد بدين هو الأصل جديد عليهم وهو الإسلام.
- لم يصل النمو العقلي عندهم إلى المستوى الذي يمكنهم أن يكتشفوا نوايا التنصير.
- للوصول إلى إحداث تغيير في معتقدات المجتمع الإسلامي عامة لكي يصبح نصرانيا في المدى البعيد.
- لإعداد الرجال الذين تعتمد عليهم الكنيسة الوطنية في المستقبل[4].

واستعمل الآباء لتحقيق هذه الغاية أساليب متعددة لإغراء الأطفال بالقدوم إلى مدارسهم وهي: الحلوى، النقود، الألعاب، تقديم المأوى والطعام، الحفلات المدرسية.

([1])مقران يسلي، مرجع سابق، ص148.

([2]) بقطاش خديجة، مرجع سابق، ص56.

([3]) خالدي مصطفى وفروخ عمر، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، بيروت، 1973، ص64.

([4]) وعلي محمد الطاهر، مرجع سابق، ص88.

كما وجه لافيجري اهتمامه إلى التعليم المهني وركز بالدرجة الأولى على اليتامى حتى يكتسب هؤلاء حرفة أو مهنة معينة تجعلهم يعتمدون على أنفسهم في كسب رزقهم وبالتالين يرتبطوا بأحدهما يمكنهم من المحافظة على نصرانيتهم في المستقبل، وكانت أهم الحرف هي التي يحتاجها المستوطنون هي :العمل في الحقول، النجارة، الحدادة، تربية الحيوانات[1].

وكان أسلوب الاتصال بين المنصرين وسكان المنطقة هي امتلاك المنصر اللغة العربية واللهجة الأمازيغية القبائلية المحلية، حتى أنها تدخل في صميم نصائح لافيجري لهم، وتبعا لذلك نصح بوضع مجموعة من المؤلفات لإحياء اللهجات الأمازيغية أذكر منها:

- قاموس مختصر فرنسي قبائلي يتألف من 108 صفحة .
- مختصر العقيدة المسيحية (فرنسي- قبائلي).
- حياة سيدنا عيسى
- أساس الدين المسيحي

ولإضفاء طابع المسيحية على البرامج التعليمية عمد المنصرون على اتباع عدة أساليب:

- استخدام نصوص مستخرجة من الإنجيل[2].
- تدريس مادة تاريخ الديانة المسيحية للتلاميذ وهذا بأمر من لافيجري ابتداء من سنة 1886 على شكل حصص تاريخية وقد أعد لافيجري بنفسه طبعة لمادة التربية المسيحية، ضمنها ثلاثة فصول تتعلق بالكنيسة الإفريقية.

وحتى يشمل نشاط لافيجري التنصيري المرأة القبائلية، عمل على رسم منهجية وأساليب يتمكن بواسطتها الأخوات البيض من التأثير في المرأة حيث عمدت على جلب الفتيات للعمل في المستشفى وفي المستوصفات أملا في تنصيرهن مستقبلا بعد أن يتم الإحتكاك، وكذا جلب البنات وبخاصة اليتامى إلى مدارس تعليمية صناعية، هذه المدارس تقوم بتلقين البنات تدابير منزلية منها مبادئ القراءة والكتابة والحساب، الطبخ، الغسيل، الخياطة، الحياكة، صناعة السلال والقفف، وقد أثمر تعاون الآباء والأخوات

(1) Baunard (n)، Op، cit، P297.

(2) مقران يسلي، مرجع سابق، ص129.

البيض على ميلاد أولى الأسر*1 الجزائرية المتنصرة في منطقة القبائل بعد جهود دامت خمسة عشر سنة [1] .

رابعا – نتائج نشاطه التنصيري في منطقة القبائل:

ان الجهود التي بذلها الكاردينال لافيجري خلال فترة نشاطه بمنطقة القبائل تجعلنا نتساءل من النتائج التي حققها، فبالرغم من تمكنه من استغلال السكان و جعلهم يقبلون على التعليم و المعالجة الا انه لم يستطع كسبهم دينيا و بشكل جماعي،و بالصورة التي كان يتوقعها من قبل، فبالرغم من الصبر و التفاني في أساليب الاغراء فان المحاولات التنصيرية لم تكن لها نتائج اكثر من التي تحصل عليها في المناطق الاخرى، و هذا لان نشاطه نفذه مع اليتامى و المعوقين و المرضى و الميؤوس منهم، و الاطفال غير الشرعيين و بعض المغامرين بحثا عن المادة، و لعل أسوأ من استغله هم العجزة من الشيوخ الذين لا سند لهم، او الذين تخلت عنهم أسرهم وهم يعانون الفقر و الحرمان و الا كيف نفسر تعميد شيخ اعمى في أخر حياته اذ يبلغ من العمر 90 سنة و عجوز ذات 80 سنة و الاخرى ذات 75 سنة؟ و هذا ما جعل السكان يشكون في أمر المنصرين و يظهرون معارضة ضد كل محاولة تنصيرية بالمنطقة.[2]

و قد اعترف لافيجري بفشله و عبر عن مرارة خيبته لعمله التنصيري و للنتيجة المؤلمة التي ال اليها بعد جهاد طويل، و لم يغادر الحياة حتى شاهد بنفسه أعماله تتلاشى ذلك أن أكثر المتنصرين نبذوا دينه و عادوا الى الاسلام،و قد صرح بنفسه عندما اتضح له الفشل هذه السياسة بقوله:" اننا خسرنا في منطقة القبائل ما حققناه في لبنان" و لم يسع لافيجري اذ ذاك الا ان يعطي أوامر لاعوانه بأن يخلو عدة مراكز و ينسحبوا منها.[3]

من جهة أخرى ثارت ضجة مفتعلة ذلك ان الرأي العام الغربي كان مؤيدا للكاردينال فيها يخص دمج الجزائر بسرعة في فرنسا و المجتمع الأوروبي عن طريق التنصير، و لم يكن الامبراطور ذاته و رجال دولته ضد هذه الممارسات و لكن الخلاف كان معه في الوسائل فقط، فهو كرجل دين متعصب نظر الى المشكلة من زاوية الحرب الصليبية ضدالاسلام و المسلمين و راى ان ينفذ أهدافه بحزم و قوة و

---

*1 انظر الملحق4.

(1) وعلي محمد الطاهر، مرجع سابق، ص143.

(2) محمد العربي ولد الخليفة،مرجع سابق،ص230

(3) العسلي بسام ،محمد المقراني وثورة 1871،دار النفائس ،الجزائر ،2010،ص240

سرعة، بدون أن يقيم وزن للعواقب السياسية أما رجال الدولة و المسؤولين فقد عـالجوا المشـكلة مـن الناحية السياسية و العسكرية و شعروا بالصعوبات التي قد تسببها لهم سياسة التنصير بحكـم اطلاعهـم على تمسك السكان بدينهم و عقيدتهم الإسلامية، كما اعترفت المصادر الغربية بما لقيه الكاردينـال مـن مقاومة وفقا لما تبرزه المقولة التالية:"لقد اعترضت الكاردينال و كنيسته عقبة حقيقية و هي رفض السكان رفضا جازما لتنصير ابناءهم،فقد أحسوا بأنهم طعنوا في عقيدتهم الدينية و كان هذا الشعور عاها غنـي لدى الموالين للسلطات الفرنسية"(1) أما عن القرائن التي تدل على عدم قبول السكان للمتنصـرين مـن ذويهم تتمثل في:

1- العزل و النبذ:

حيث وحدت الدعاية المسيحية عقبة لايمكن تخطيها تمثلت في التضامن القوي الذي يـربط الفـرد بالعائلة، والفرد الذي يعتنق المسيحية فعليه ان يغادر البلاد طواعية او بالقوة

2- عدم المصاهرة:

تشكل عملية زواج المتنصرين من الجزائريين العقبة الثانية وضعها المجتمع امام النشاط التنصيري فحصول على زوجة للمتنصر من اكبر الصعوبات لأن أهل الفتاة التي قد يستطعون الحصـول عليهـا بطلب اهلها مهرا مرتفعا و ذلك لكي يسمحوا لهم بالذهاب الى المدرسة التنصيرية التي تديرها الاخوات.

3- التهديد:

يكون كل من اعتنق المسيحية مهددا بالقتل من طرف اهله و تعتبر عملية رفض السكان للمتنصرين من ذويهم ذات ابعاد لها دلالات هامة في تحديد مسار عملية التنصير في الجزائر و بالاخص في منطقة القبائل.(2)

أما في المؤسسات الثقافية التي كانت سدا منيعا في وجه الحملات التنصيرية للاباء و الاخوات تحت زعامة لافيجري هي المعمرات*1 و من أبرزها :

---

(1) بوعزيز يحي ، مرجع سابق ،ص97

(2) وعلي محمد الطاهر، مرجع سابق، ص213.

*1 المعمرات هي عبارة عن مؤسسات ثقافية لها شبه بالكتاتيب القرآنية أحيانا أو بالزوايا أحيانا أخـرى يحضـر اليهـا التلاميذ لحفظ القران وتلقي العلوم والمعارف الأخرى .

1- معمرة سيدي علي بن يحي في بني كوفي

2- معمرة سيدي علي أوموسى بالمعاتقة

3- معمرة عمر الحاج على ساحل دلس

4- معمرة سيدي أحمد بن ادريس بعرش ايلولن بدائرة عزازقة

5- معمرة سيدي منصور

6- معمرة سيدي محمد بن عبد الرحمان بوقبرين

7- معمرة شلاطة بايلولة اومالو (لابن علي الشريف)

8- معمرة فريحة ببني ورتيلان.

و هذه المؤسسات تعرضت لمحاربة شديدة بمختلف الوسائل و الأساليب و الأشكال كونها مثلت عائقا صلبا و شديدا ضد السيطرة الاستعمارية و سياسة التنصير من جهة أخرى لعبت الزوايا دورا بارزا في الدفاع عن الديانة السلامية و عن الوطن

ضد سياسة التنصير التي اتبعها لافيجري كما أثبتت مدى إسلامية منطقة القبائل و اندفاع سكانها و استماتتهم في سبيل الدين الإسلامي .[1]

كما لا يفوتنا تسجيل بعض جوانب النجاح في نشاط الكاردينال لافيجري التنصيري فرغم إفلاسه النسبي و انحرافات رواده فانه استطاع

- التمكن من النفاذ إلى الوسط الإجتماعي
- تكوين أسر مسيحية من السكان أنفسهم
- إنشاء العديد من مراكز تنصيرية
- استمالة المرأة القبائلية و التأثير فيها.[2]

---

(1) بوعزيز يحي، أوضاع المرسسات الدينية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر والعشرين، الثقافة، العدد 63، 1981، ص 24.

(2) وعلي محمد الطاهر ،مرجع سابق ،ص222.

إستنتـــــــــــاج

من خلال الفصول السابقة تمكنت من الوصول إلى نتـــائج حـــول النشـــاط التنصـــيري للكاردينال لافيجري في منطقة القبائل وهي :

– عمدت السلطات الفرنسية منذ أن وطئت أقدامها أرض الجزائر إلى ضـــرب المعـــالم الإسلامية، فتعرضت المنشآت الدينية للتدنيس ودمرت المساجد وحولت إلى كنائس ومخـــازن وإسطبلات خدمة للكنيسة المسيحية وأهداف فرنسا التنصيرية .

– استغلت السلطات الفرنسية والمسؤولون ورجال الدين الخصوصيات العرقية واللغوية والعوامل الدينية والجغرافية والتاريخية والاقتصادية التي انفردت بها منطقة القبائل لتبريـــر وجودهم فيها .

– سخر لافيجري كل ما في وسعه من طاقات تنصيرية دينية ومعارف علمية وتطبيقات مختلفة أملا في إنجاح برنامجه التنصيري وتحقيق أهدافه .

– ربط لافيجري نشاطه التنصيري بالعامل الإنســـاني القـــائم علـــى تقـــديم الخـــدمات الضرورية للسكان وإنشاء المستشفيات محاولة منه إنجاح مخططه التنصيري .

– حاول لافيجري تدعيم التواجد المسيحي في منطقة القبائل من خلال نســـل مســـيحي جديد.

– أوحى إليه تعصبه الأعمى بأن الأهالي وخاصة منطقة القبائل تـــرفض الإســـلام وان دينهم الحقيقي هو التقاليد المتبقية من روما وبيزنطا ، وأنهم ينتظرون تحريرهم من عقيـــدة فرضت عليهم ، لكن حقيقة الأمر هي أن تمسك السكان بالإسلام وحضاراته كبير والمعارضة التي أظهرها ضد كل محاولة تنصيرية بالمنطقة أفشلت مساعي وجهود لافيجري .

- تمكن لافيجري من تأسيس جمعيات دينية تنصيرية مسيحية وتثبيت هياكـــل مســـيحية بقيت شاهدة على حبه الراسخ لإضفاء الطابع المسيحي علـــى هــذه المنطقـــة والحقيقـــة أن ممارساته ومجهوداته الجبارة في خدمة الاستعمار والكنيسة كانت تصب ضمن سياسة عامـــة هي الحرب المعلنة على الإسلام.

- ومهما يكن من الأمر فان النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري لم يلقى نجاحا ويعود ذلك إلى الحصانة الدينية والقوة المعنوية والوطنية الصادقة للسكان أمام الغزو التنصيري.

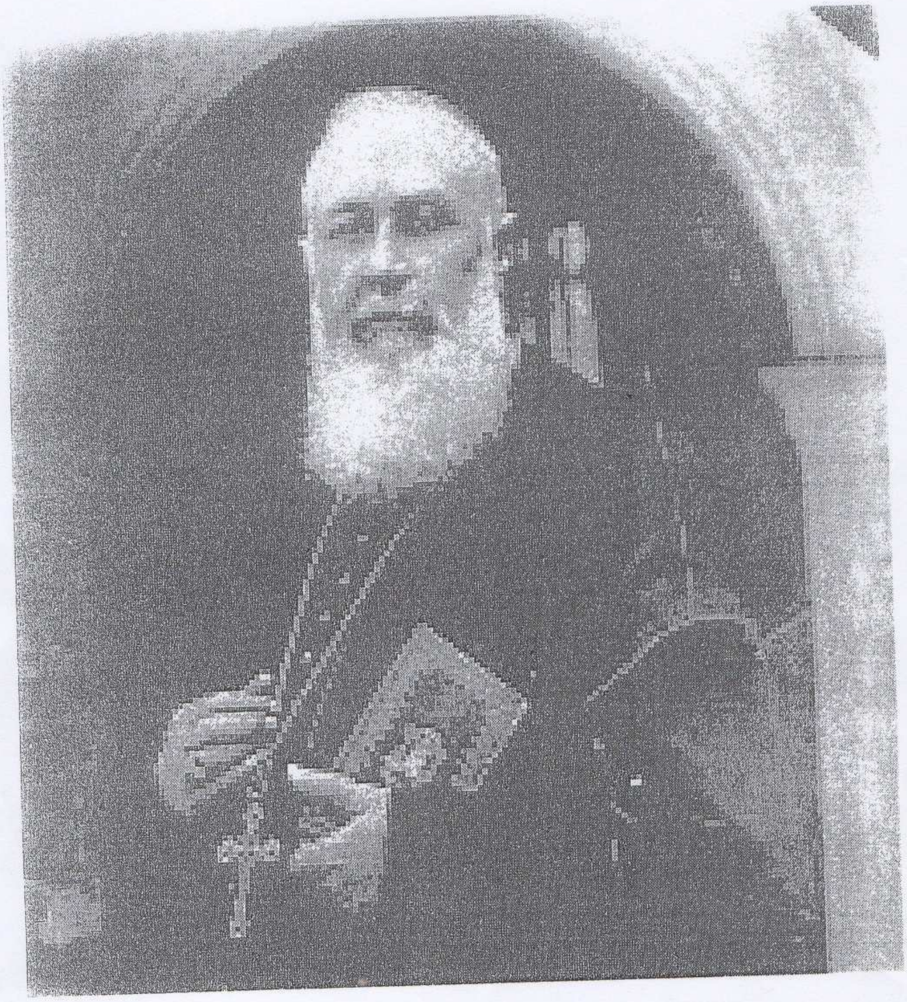
- تواصل النشاط التنصيري بعد موت لافيجري علمـــا انـــه لا ينكـــر انـــه صـــاحب إستراتيجية هدامة وبعيدة المدى .

- استمرت المحاولات التنصيرية وأخذت أبعادا روحية وثقافية على يـــد الأب شـــارل دوفوكو (1901–1916)والذي اعتبر أن انتصار المسيحية حتمية لا مفر منها ، غير انه لقي نفس المصير.

- التطورات التي عرفتها الجزائر في الثمانينات والأزمة التي عاشتها فـــي التســـعينات سمحت للمخطط التنصيري أن يجدد نشاطه وهذا في جـــو التســـعينات ســـمحت للمخطـــط التنصيري أن يجدد نشاطه وهذا في جو الانفتاح والعولمة الثقافية، وهذا ما طـــرح مســـألة التنصير من جديد على الرأي العام الجزائري خاصة بعد ما سجلت حالات عديدة لاعتنـــاق المسيحية في منطقة القبائل ولان المشكل أصبح من القضايا الحساسة .

فهل ستظل هذه الجهود والمحاولات التنصيرية مستمرة ؟ وهل يمكن فصل هذه المنطقة وعزلها عن باقي المناطق الأخرى ؟

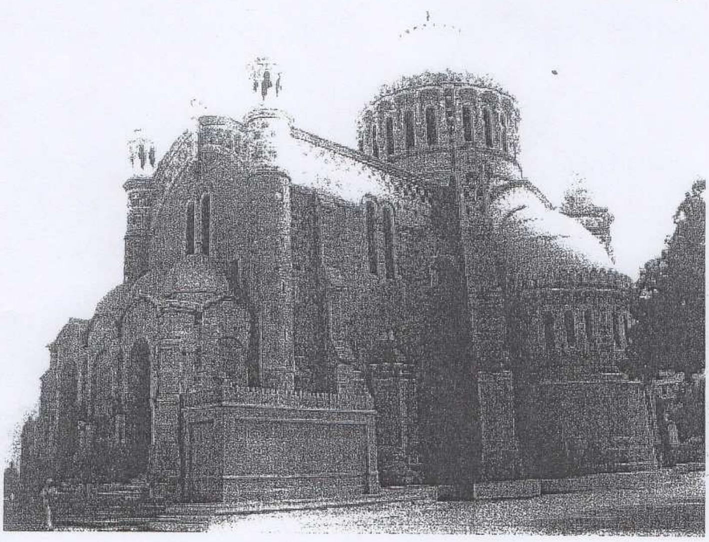
الملحق رقم : 01



الكـــــاردينال لافيجـــري 1825-1892

المصدر : WWW.Maforma.org/lavigerie-alger

الملحق رقم : 02



أبرز هيكل ديني مسيحي شيده لافيجري في الجزائر

كنيسة السيدة الإفريقية

المصدر: بطاش علي, لمحة عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحداد و ثورة1871

,دار الأمل , الجزائر ,2007

الملحق رقم : 03

السـنة	1870	1871	1872	1873	1874	1875
المبلغ بالفرنك	9000	37000	53550	595335	53545	53700

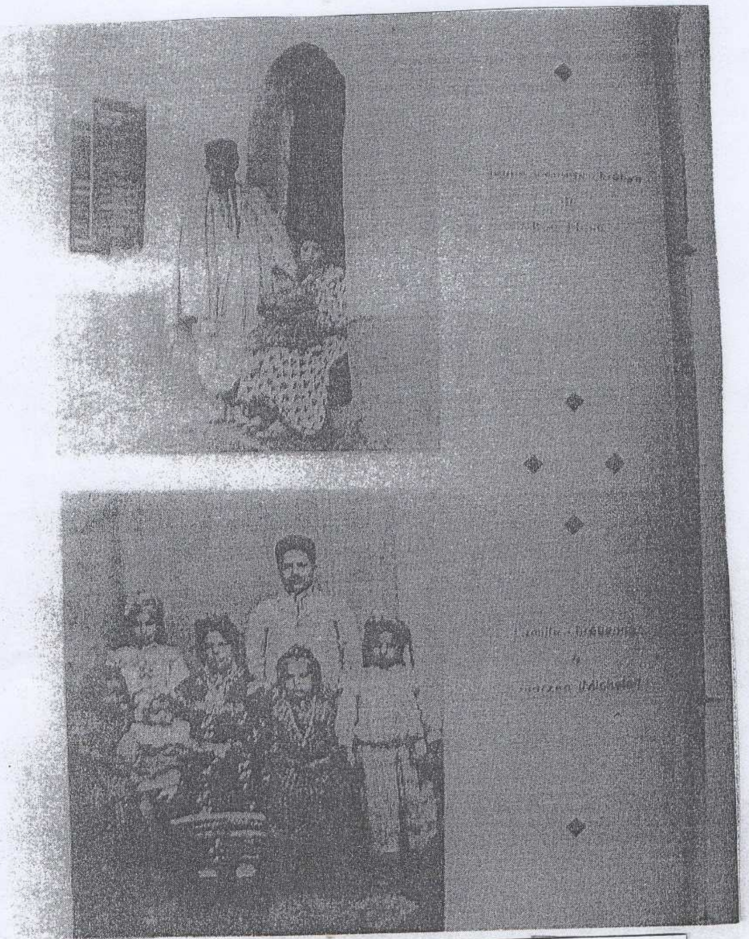
جدول يبين المساعدات الرسمية لملاجئ يتامى المجاعة من 1870إلى 1875

السـنة	مساعدات الحاكم للجزائر				مساعدات ليتامى المجاعة			
	1871	1872	1869	1870	1871	1872	1873	1874
المبلغ بالفرنك	80.046	10.000	275000	213000	177000	169740	181150	9000

جدول يبين المساعدات الرسمية من 1874إلى 1889

المصدر : وعلي محمد الطاهر ، **التعليم التبشيري في الجزائرمن 1830إلى1904دراسة تحليلية تاريخية** ،منشورات دحلب ،الجزائر، 2009

الملحق رقم : 04



نماذج من الأسر القبائلية المنصرة

المصدر: مقران يسلي ,**الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945**,
مذكرة ماجسيتير,قسم الفلسفة ,جامعة الجزائر ,1991.

قائـــــــــمة المراجــــــــع

المراجع باللغة العربية :

1. الإبراهيمي أحمد طالب ،**من تصفية الإستعمار إلى الثورة الثقافية** ،ترجمة حنفي إبن عيســـى ، الجزائر ،1972
2. بوعزيز يحي ،**الثورة في الولاية الثالثة 1954-1962**،ط1،دار الأمة ، الجزائر،2000
3. بوعزيز يحي ، **ثـــورة 1871دور عـــائلتي المقرانـــي والحـــداد** ،الشـــركة الوطنيـــة للنشـــر ،الجزائر،1995
4. بوحوش عمار ،**التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962** ،ط1دار، الغرب الإسلامي ، الجزائر، 1997
5. البوعبدلي المهدي ،**ثورة الشريف بوبغلة** ،منشورات وزارة الثقافة،الجزائر ،1995
6. بطاش علي، **لمحة عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحـــداد و ثـــورة1871 ،دار الأمـــل ، الجزائر ،2007**
7. بقطاش خديجة،**الحركة التبشيرية في الجزائر(1830-1871)**،دار دحلب ، الجزائر 2009
8. تشرشل شارل هنري ، **حياة الأمير عبد القادر** ،ترجمة سعد الله أبو القاســـم ،الـــدار التونســـية ،1974
9. جوليان شارل أندري ،**تاريخ الجزائر المعاصرة** ،ط1 ، مج1، دار الأمة ،الجزائر ،2008
10. الجيلاني عبد الرحمان إبن محمد ،**تاريخ الجزائر العـــام** ،ج3 ،ديـــوان المطبوعـــات الجامعيـــة ،الجزائر،1982
11. دبوز محمد علي،**نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركـــة** ،ج1،الطباعـــة الشـــعبية للجـــيش ،الجزائر ،2001
12. وعلي محمد الطاهر ، **التعليم التبشيري في الجزائرمن 1830إلى1904دراسة تحليلية تاريخيـــة** ،منشورات دحلب ،الجزائر ،2009.

13.الطيبي محمد ، **الجزائر عشية الغزو الإحتلالي (دراسة في الذهنيات والبنيات و المآلات)**،ط1،إبن نديم ،الجزائر،2009

14.لوبون غوستاف، **روح السياسة** ،ترجمة محمدعادل زعيتر ،المطبعة المصرية ،ب.ت

15.محمد إبن الإسماعيلي ، **مشايخ خالدون وعلماء عاملون** ،ط1، 2001 المدني أحمد توفيق ،قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح

16.المحبوبي علي ،**إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس** ،سراش للنشر ،تونس ،1986

17.محمد سي يوسف ،**مقاومة منطقة القبائل للإستعمار الفرنسي ثورة بوبغلة**،دار الأمل،الجزائر،2000

18.محمد العربي ولد الخليفة ،**المحنة الكبرى (مدخل لدراسة توصيفية عن معاناة الشعب ومقاومته البطولية)** ، دار الأمل،الجزائر،2009

19.محمد العربي ولد الخليفة، **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية(دراسة في مسار الأفكار وعلاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية و العولمة)**، منشورات شالة ،الجزائر2007

20.العربي إسماعيل ، الصحراء الكبرى وشواطئها ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1983

21.سعد الله أبو القاسم ،**الحركة الوطنية الجزائرية 1830 –1900**،ج1،دار البصائر، الجزائر ،2008

22.العسلي بسام ، **محمد المقراني و ثورة 1871الجزائرية** ، دار النفائس، الجزائر،2010

23.فراد محمد أرزقي ،**إطلالة على منطقة القبائل**،دار الأمل ، الجزائر،2006

24.رابح تركي ،**التعليم القومي والشخصية الجزائرية**،الشركة الوطنية للنشر ،الجزائر،1981

25.الشهبي عبد العزيز ،**الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي في الجزائر**،دار الغرب الإسلامي ، الجزائر،2007

26.شلبي عبد الجليل ،**الإرساليات التبشيرية** ، دارمنشأة المعارف،الإسكندرية ،دس.

27.خالدي مصطفى وفروخ عمر ،**التبشير والإتعمار في البلاد العربية** ،ط5،المكتبة العصرية ،بيروت ،1973

الجرائد والمجلات :

1. أكيلال محمد لحسن ، **التنصير في منطقة القبائل** ،جريدة البصائر ،العدد630، الجزائر،2012
2. بوعزيز يحي،أوضاع المؤسسات الدينية في خلال القرن التاسع عشر والعشرين ،مجلة الثقافة ،العدد63،1981
3. بوعزيز يحي ،**ملامح عن قلعة بني حماد والدولة الحمادية وبجاية** ،مجلة الأصالة ،العدد 36،1977.
4. باعزيز عمر ، **الزوايا في الزواوة** ،مجلة الشهاب ،ج1، 1993
5. البوعبدلي المهدي،**الرباط والفداء في وهران و القبائل الكبرى** ،مجلة الأصالة ،العدد13

الملتقيات :

1. البوعبدلي المهدي،**نبدة تاريخية عن ولاية تيزي وزو**، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي ،المجلد 5،الجزائر، 1973
2. الحبيب الجنحاني ، **حركة التبشير والسياسة الإستعمارية الفرنسية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر**، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي الجزائر ،1973

الرسائل الجامعية :

1. بولافة حدة ،**واقع المجتمع المدني إبان الفترة الإستعمارية و بعد الإستقلال** ،مذكرة ماجسيتير ،جامعة باتنة ،قسم العلوم السياسية ،2011
2. جباري مسعود، **الفكرالسياسي عند الشيخ عبد الحميد إبن باديس** ، مذكرة ماجسيتير،تخصص علوم إسلامية و أصول الدين ، جامعةالجزائر ،2002
3. خليل كمال ،**المدارس الشرعيةالثلاث في الجزائر (التأسيس والتطور 1850-1951)**، مذكرة ماجسيتير،تخصص تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر ،جامعةقسنطينة ،2008

4. مقران يسلي ،**الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920–1945**، مذكرة ماجسيتير،قسم الفلسفة ،جامعة الجزائر ،1991.

مراجع باللغة الفرنسية :

1. Baurnard (M)، **Le cardinal Lavigerie**، Librairie Paussielgue، paris، 1898،
2. Charles Minot،**revue archéologique**، paris،1988
3. Oaugas.la **kabylie et le peuple kabyle** ،paris،1877
4. Sahari Samia، **étude des pratiques et des conduites religieuses chez les convertis au christianisme en Kabylie**، mémoire de magister، université mouloud Mammeri، tizi ouzou، 2012

المواقع الإلكترونية :

1. WWW.Maforma.org/lavigerie-Alger

فهرس المحتويات